

أبو النصر

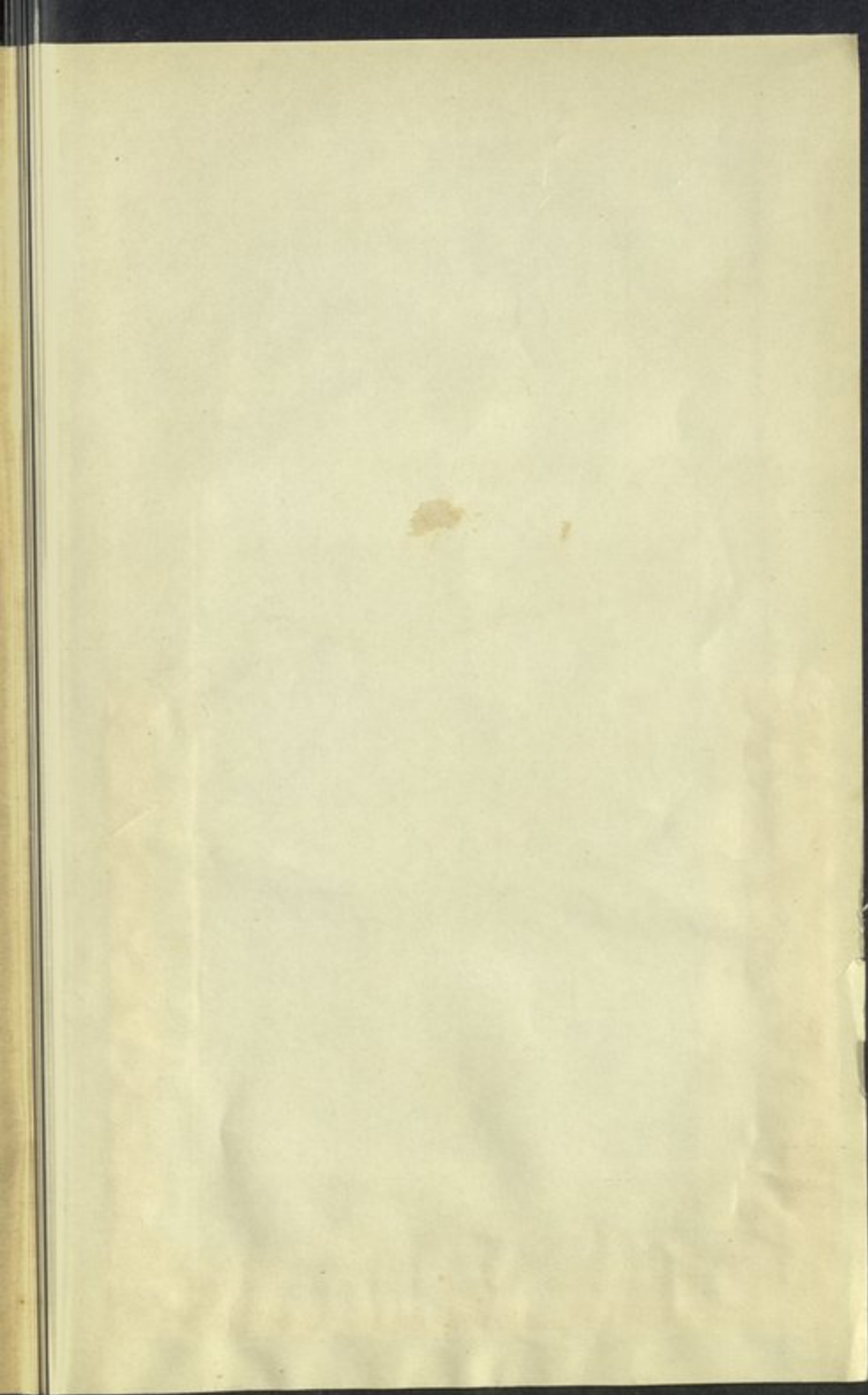
محمد

تجلید کتب
صالح الدقر

B
M9

JAN 2

NOV 1



$$\tan^2 - \sec^2 = 1$$

$$\sin^2 = \tan^2 - 1$$

$$\frac{1}{\cos^2} = \frac{\sin^2}{\cos^2} - 1$$

$$\frac{1}{\cos^2} = \frac{\sin^2 - \cos^2}{\cos^2}$$

$$\cos^2 (\tan^2 - \cos^2)$$

$$\cos^2 - \cos^2$$

$$1 = \sin^2 - \cos^2$$

$$\cos^2 = \sin^2 - 1$$

$$\cos^2 = \sin^2 - 1$$



71.5

لقى جاك

$$\cos^2 + \sin^2 = 1$$

$$\cos^2 = 1 - \sin^2$$

المكتبة الفقهية

في بيروت

للطبع والترجمة والتأليف والنشر

(2)

عني بطبعه ونشره
محمد جمال
صاحب المكتبة الأهلية

297.63
M952m4
C.1

مجلد بر عبد اللہ

وآراء مشاہیر کتاب العرب فی رسالہ ؛ ونبوہ ؛ والاسلام

مولانا	البرنس کیتانی	مونتہ
نولہ کہ	جیوفانی بورغیز	دوزی
مرجولیوٹ	ماکس مایرہوف	شیرنفر
زویر	کارلیل	غریب
برتلمی سانت ہیلار	جیلمان	ہوار
دیسون	درمنغم	غولدمہیر

تعریب

عَمْرٍو بَقِ النَّصْرَ

57186

الطبعة الاولى - سنة ۱۳۵۴ھ - ۱۹۳۵ م

مطبعة الوفاء - بیروت

Gifted to A. Akmal-Han, Calcutta 1937



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المغرب

الحمد لله ، والصلاة والسلام على خير انبياءه ، وبعد
فان الوفاء لمحمد بن عبد الله صلوات الله عليه ، والحرص على ان
لا نترك شاردة ولا واردة الا احصيناها عن اعماله ونشأته ، واثره ،
ونبوته ودعوته ، تمحفزنا على نشر هذا الكتاب الجديد الذي تكلفنا
اختياره من غير كتاب واحد ، لمشاهير كتاب الغرب ، وعظماء
مؤرخيه ومؤلفيه ، كما ان التقدير الذي نشاهده من القراء ،
والانتشار الذي تصادفه هذه المؤلفات ، يدفعنا على المضي فيها حتى
نصل الى ارضى امانى المخلصين والمتقنين من شباب العرب ، الذين

يرون في تعزيز الجدة الاسلامية العربية ظاهرة لها خطورتها
واثرها ، في هذه النهضة الجديدة ، التي نريدها شامخة الانف ،
مستقلة الرأي ، رفيعة الاغراض ...

ولشد ما يسرني ان اوفق في تصوير هذه الماضيات النبوية
تصويراً طريفاً مارحاً ، يحفز شباب العرب الى العناية بها ،
والاستمتاع بهذه الروائع من تاريخهم السالف ، واجادهم الغابرة
ولو انني خبرت لاخترت موضوعاً يعرض لغير هذا ، ولكنه
الوفاء لمحمد وما يطرأنا به الغرب بين حين وآخر من بحث عن نبوته
ونقد لعلفته ، واكبار لدعوته ، خصوصاً وقد كان بعض كتاب
الغرب لسنوات خلت ، وحين يحاولون التأريخ للاسلام والمسلمين
يعتذرون لقراءهم ، ان عرضوا لهذا البحث ، وان راحوا يورخون
لمحمد وجماعته البرابرة المتوحشين ، اعداء المسيحية واعداء الحقيقة
الالهية ، وقد ذهب بعضهم يروج لعمله هذا في شيء كثير من
الركة واللباقة ، وان كان ليس ينكر انكر ما اقدم عليه ، وسوء ما
تكلفه ، فقال :

« ان الافرنسيين قد تعودوا دراسة التاريخ الروماني ، وكان
هؤلاء اعداء للمسيحية ايضاً ، فلن يجدوا والحالة هذه غضاضة في
دراسة التاريخ العربي الاسلامي ، خصوصاً وقد اظهر المسلمون
في فتوحاتهم الاولى انهم اكثر (مسيحية) من الرومانيين في معاملتهم

للآمم التي غلبوا عليها ، وتمكنوا من امصارها واوطانها» ^(١) اما
 (جيلان) الكاتب الانكليزي المعاصر فانه يقول انه ليس بمجد سبيلا
 الى هذا الاعتذار - في الاعصر الحاضرة - لمن يتقدم للكتابة عن
 محمد والاسلام وما في تاريخ محمد والاسلام من حوادث رائعة ،
 وفتوحات عظيمة ، وعبقورية موفورة ، وفضيلة بارزة ظاهرة

.....

ومن المؤكد ان رغبتني هذه ليست ترجع عن هذا البحث
 الى استهانة مني بامره مع جليل قدره ، وعظيم خطره ، وجلال موضوعه
 ولكنني ما ازال احس بان الاحسان فيه ما يزال بعيداً قصياً ، وانت
 لا تستطيع ان تكتب عن محمد كما تكتب عن غيره من الناس ،
 ولن توفق الى بحثه كما تبحث سواه من عباقرة البشر وافذاذ العالم ،
 ان فيه سحراً غريباً اكاد لا افهم كنهه ، وان كنت احسه واشعر
 به ، فهو تعالى في السمو ابدأ ما انصلت قراءة تاريخه بالمرء كره
 بعد كره ، وما علقت باخباره تجلوها ، وتبحثها وتدرسها وتعاودها
 بالقراءة والمطالعة متنقلا في مختلف نواحيها ، متذوقاً جمالها في تبين
 صورته واختلاف اوضاعه

وكيف لانسان بالغة ما بلغت قدرته ، ان يعبر عن جمال لا

(١) المسويير فانتير مستشار الدوق دورليان وطيبه في كتابه عن
 الخلفاء المسلمين وحياتهم واعمالهم

يصل اليه الا بمقدار ، وما يبرح يحس انه في غير متناوله وان ما
يصل اليه ، انما هو نذر يسير منه

....

ولقد حاول كتاب الغرب في السنوات المتأخرة بحث تاريخ
الرسول بحثاً متعاقباً معتدلاً ، فرأينا ان نعرض لباحثهم هذه ، وان
نتناول آرائهم بشيء كثير من القصد ، ليخرج كتابنا هذا مصوراً
لرأي الغرب المثقف المعتدل الصادق البعيد عن الاهواء في محمد
ورسالة محمد ، ونظن اننا وقفنا في ذلك الى اقصى ما يدخل في طوقنا
من تبيان على ما نعتقد ، ونظن اننا نحسن صنعاً اذا ذهبنا لنصور ناحية
من حياة الرسول الاولى وفقاً لهذه البحوث الغربية في النقد التاريخي
الجديد ، على ان نعرض بعدها لما كتبه كارليل ودرمنغهم وديسون
وجيلمان وغيرهم في محمد ورسالاته ونبوته ، نسوى هذه الصور
الجديدة الغربية بآنانا متناسقاً ، واضح التبيان ، رائع الطرافة ، قد
انتظم له جلال الموضوع وخطر الالهام

٢٥ ربيع الاول ١٣٥٤

بيروت

٢٥ تموز ١٩٣٥

محمد بن عبد الله

نحن في عصور الجاهلية ، وفي مساء من هذه الاعصر ، وقد خلعت مكة يوماً صائفاً قائظاً محرقاً ، واستقبلت ليلاً رطباً ثقيلاً والشمس قد انتهت الى مستقرها او كادت ، واشراف مكة قد انتظموا مجلساً حول الكعبة يأخذون باطراف الحديث آناً ، ويتكفون الصمت حيناً ، وكل منهم يتعجل لاوبة الى منزله لعله يتبرد فيه من قسوة الحر وشدة القيظ .

وجلس عبد المطلب بن هاشم زعيم قريش و كبير مكة بين اهله وولده وهم كثر ، وقد ملك من حوله انقباض جعلهم يخلون بين الشيخ ونفسه ، فلا يتحدثون اليه الا بمقدار ، ولا يحاورونه الا على قدر ، والشيخ مثقل مكذور بفكر في آمنة زوج عبدالله الذي كان احب بنيه اليه واقربهم الى قلبه ، والذي لن تخلم زوجه ليها هذا الا وقد ادت الى الارض مولوداً جديداً

ويعود الشيخ بالذكري الى حاضره ، وسابقات اعوامه ، فيطلق بصره الى مكة الضاحكة البهجة الفخورة ، بماناته من فوز على ابرهة وجيشه وهو الذي اراد اقتحام مكة وهدم الكعبة ، وكيف

ارسل الله هذا الطير الغريب الشكل الذي صرفه عن امره ورده
 عن غرضه ، وامعن في جيشه ثقتيلاً وابلاماً وعذاباً ، وكيف
 ملأ قومه من الفخر من انخزال عدوهم وارتداده مدحوراً كاسفاً ،
 وكيف ان شيخاً من مكة لم يشغله هذا الفخر ، ولم يصرفه مرح
 الناس وحوارهم من حوله عن هذا الالم الصامت الذي كان يتسلل
 الى قلبه ، وكيف ان امرأة من قريش كانت تشارك هذا الشيخ
 في حزنه والمه ، فاما الشيخ فكان عبد المطلب بن هاشم ، واما السيدة
 فكانت آمنة زوج عبد الله بن عبد المطلب

لقد طوى الردى عبد الله فاحزن ذلك الشيخ وارقه ، وافضى
 اليه بشيء كثير من القلق والاضطراب ، وزاد في حزن الشيخ
 ان يخطف الموت فتاه وهو ما يزال عروساً جديداً غادر زوجه بعد
 بنائه بها بايام في تجارة الى الشام على ان يعود اليها كما يعود الناس الى
 ازواجهم ، ولكن رفاقه يعودون وهو لا يعود ، وانما يتخلف عنهم
 في يثرب ليموت عند اخواله من بني النجار ، وقد عرفت زوجه
 بعد ان ارتحل عنها ، انه قد حملها امانة ما زالت تحس بها في جوانحها
 حتى اذا جاء امر الله ادت هذه الامانة ، ومن يدري لعل عبد الله لم
 يوجد الا ليودع هذه الامانة عند زوجه ، ولعل آمنة لم توجد في
 هذه الدنيا الا لتؤدي هذه الامانة الى الناس
 ولقد استقبلت آمنة الرزء الفادح بشيء كثير من الايمان

والسكون ، وراحت ننام على الخطب القاصم هادئة مستسلمة ،
وقد بقي في روعها ان الابل قد وفثها حظها من الغبطة ، وقسطها من
النعم في هذا الوقت القصير الذي قضته مع زوجها ؛ وراحت تحاول
ان تعد التفكير في هذا الجنين الذي كانت تحسه يضطرب في
احشائها والذي راحت تؤمن مع المؤمنين بانها ما عاشت بعد زوجها
الا لتلد هذا الفتى وتؤدي امانة السماء الى الارض

اما هذه الامانة فكانت محمد بن عبدالله

....

ومكة هادئة الهواء شديدة الحر مطمئنة النفس ، ما أحس أهلها
بشي ولا بقي في روعهم امر ، واذا هم ينصرفون في صباح (الميلاد) الى
امورهم ومعاشهم ، واذا عبد المطلب قائم مقامه حول الكعبة وحوله
ابناؤه ، فيمشي اليه البشير مسرعاً يحدّثه خبر المولود الجديد ، فيهب
من مكانه مستبشراً وتغشاه رحمة ورقة ، فيذهب الى حيث يقوم
منزل آمنة ، فيحمل المولود بيديه ويطوف به حول الكعبة ، متهلل
الوجه ضاحك الثغر بادي الطرب والحبور ...

وبعد فاني لست بمحدث القاريء عن عادة العرب في التماس
الرضعاء لاطفالها ، ولا كيف ذهب محمد بن عبدالله الى منازل
بني سعد مع مرضعته الجديدة حليلة السعدية ، فليس في هذا كبير
امر ، يكفي ان اقول انه لما عاد الى مكة واستوى في السادسة من

فيها ولد محمد
بن عبد الله
صلى الله عليه وسلم
في ليلة الاثنين
الثامن عشر من
ربيع الأول سنة
الفيل

عمره اخذ الله والدته من بين يديه ، كما اخذ والده من قبل ، فضم
عبد المطلب عندئذ اليتيم اليه ، وكان له محباً وبه مغرمأ ، والصبي
عليه مدلاً .

....

وتعشى ستان فيصبح الشيخ ذات يوماً نعباً مثقلاً ، ويلقي في
روعه انه زائل ، وانه مفارق مكة فراقاً لا رجوع بعده ، فيدعو
بنانه اليه ، ويطلب اليهن ان يندبنه ويبكيه كما يبكي ويندب
الناس الموتى ، وبلح في ذلك الحاحاً شديداً ، فيفعلن على كره ،
ويأخذن يندبنه ويبكيه ، واذا الشيخ يختلج قليلاً قليلاً ، واذا
العرق يتصبب على جبينه ، واذا الموت يل به ويفشاه ، فيعلو عندئذ
صوت بناته يندبن سيد قريش وزعيم مكة ، واليتيم الصغير محمد بن
عبدالله واقف امام فراش جده ، الذي لم يكن يعرف في الحياة
سنداً له غيره ، يرى ويسمع ، ويمتلي قلبه بما يرى ويسمع ، واذا
الارنياع يل به فيشحب وجهه ، ويطير ليه ويضطرب قلبه ، واذا
الابتسامة العذبة التي كانت تفرق على محياه قد ذبلت ، واذا الفتى
المارح في كرب ونكر ، واذا دموعه تتساقط على خديه فاذا رفع
عماته بصرفهن اليه ، الفين امامهن وجهاً جديداً لم يكن لهن به عهد ،
واذا اليتيم اشد الجميع اضطراباً وبكاءً وحزناً وشهيقاً ...
لله من دموع اليتيم ما اشدها وأحرها ! هذا محمد ما عرف اياه

ولا اكتحل عيناه بمراًى امه الا قليلا ، فاذا ما كفله جده وراح
 يبرّه به ويعطف عليه ، راح يأخذه الموت من بين يديه ، وكلما السماء
 تريد اليتيم لهذا الفتي حقاً ، فلا تود ان تضطرب حوله عاطفة ، ولا
 ان تبسّم امامه بشرة راضية ، وهو في ذلك ضعيف ما يملك
 للاقدار رداً ولا يستطيع لها دفعا

وكذلك يموت عبد المطلب ، فيكفل اليتيم عمه ابو طالب
 وقد غلب الصبي الحزن والالم ، فلا يعود يذكر في مقبلات ايامه ،
 غير والده الذي لم ير له وجهاً ، وسوى امه التي لم تتوفر لها العناية به
 الا قليلا ، وبذكر جده الذي فارقه منذ زمن قصير ، ثم يطلق بصره
 الى السماء يطلب منها ملجأً وحامياً ، وهو اليتيم الفريد الغريب .
 وكذلك اراد ربك ان يكون محمد يتيماً وان يكون فقيراً ،
 وان يكون معدماً ، حتى اذا جاء امر الله ، وارسله الى الناس نبياً
 مرسلًا ، ثم مكّنه من العربية قاصيها ودانيها عرف قيمة اليتيم ، واثم
 الفقر ، ومشقة العدم ، ولذلك خاطبه ربه في كتابه الكريم فقال :
 " فاما اليتيم فلا تقهر ، واما السائل فلا تنهر ، واما بنعمة ربك "

فحدث

....

هذه قوافل مكة تجتاز الصحراء العريانة ، وتطوي البيد ،
 وتتركب الرمال ، ومحمد منصرف الى نفسه ، مارح في احلامه ،

باسم لما وفق اليه في هذه السفرة التي ستفتح امامه عينيه آفاقاً جديدة
لم يكن له بها علم ولا عهد .

لقد تعلق بعمه ابي طالب ، لما اعتزم هذا تجارة الى بصرى من
اعمال الشام ، وراح يسأله في الحاح الصبي واغرائه ، ان يحمله معه
وهو ما يزال يضطرب في التاسعة من عمره

ولم ير العم كبير امر في طلبه هذا ، فاخرجه معه وجعله على
الابل يعني بها ويرعاها ، فاذا الفتى يحس بالمسؤولية الجديدة ، واذا
به يهتز فرحاً لرؤية هذه المغاوير الرملية الرائعة في انقباضها ، واندثار
معالم الحياة فيها

لقد قضت القافلة ثلاثين يوماً حتى برزت لها تلك الارض
المتحضرة المهذبة الطاخة بآثار الروم والفسانة ، فلاحت عندئذ
للتييم البيع والمعابد والقصور والقباب ، وانكشفت له ارض ، ازهر
فيه النارنج واوراق ، والتفت بها الاعتاب ومغارس الآس ، فتأيد
التييم طرباً ، وثفس الصعداء ، وفتح نفسه المغلقة لجمال الطبيعة ،
واستأنس بالنهر يخالط الطبيعة الضاحكة العريانة ، وهزته اعراف
الفجر وهي ترعش في الافق ندبة عذبة حلوة ، فوقف شاخصاً
مبهوثاً . . .

ومد اليتم يده الى زهرة من هذه الزهور الباسمة مضطرباً وجلاً

لقد رجع
مع عمه
الى الشام

فلما حاذتها انامله استأنس بها ، واستأنست ، فلم يشأ عزوفاً عنها
وارتقي على ارضها ، وقد انهكه تعب البداوة ، وبعد الشقة ، واطلق
ابو طالب بصره يبحث عن ابن اخيه فاذا هو بين النارج والآس ،
واذا هو حائل اللون ، حائر الطرف ، ظاهر الرزانة ، بادي التفكير
فتركه وشأنه ، وقد عوده هذا الصغير مثل هذا الانتقاض والابتعاد
عن الناس والخلوص بنفسه في عزلة هائلة وادعة لا يحاول الاتصال
بالارض ومن في الارض الا على قدر ، وهو ما كان يدهش ابا
طالب ويثير هواجسه وتفكيره

وطال مقام القافلة في بصرى إياماً ، صرفها اليتيم بين هذه
الجموع الراغبة الرافلة ، مستأنساً بضجيجها ، محاولاً تفهم ما حوله من
الوان هذه الحضارة الجديدة التي لم يكن له بها عهد ولا صلة
لقد وقف يوماً حيال ضفاف النهر ، وبين منابت الجوز ،
ومغارس الآس وقد غلبته نشوة هائلة صرفته عن ما حوله ، لم يفتق
منها الا حين التف حوله مرب من الصبيان الماربع ، ينظرون
الى لباسه العربي ، وجماله الرائع ، وعيونه الساحرة بشيء كثير من
الاكبار والاهتمام

وحاذاه غلام من بينهم .. وسأله قائلاً :

— أغساني انت يا فتى ؟

فرفع اليتيم رأسه اليه ، واذا عيناه تفيضان نغاراً وعزاً ، واذا

هو يقول :

— بل عري ايها الفتى الرقيق

فصفق الفتيان طرباً ، وسألوه المرح معهم ، فاعتذر ، وحيام
تجبة مفعمة بالظرف والكياسة ، وانتحى ناحية الماء الدافق الهادر ،
ثم ما عثم ان توارى عن الانظار

....

ويعود محمد مع عمه الى مكة . . . ويتساءل من يحاول التأريخ
لحياته عن اثر هذا الاتصال بالحضارة الرومانية النصرانية في
نفسه ، أأرقه واشجاه ان يشهد هذه الارض الزاهية ، فيرى ملوكها
واقبالها الاغريب عبدانا لملوك الروم ؟ ، ام احزنه ان لا
تستمتع الجزيرة بمثل هذه الحضارة النضرة التي كانت تنعم بها
بصرى ومشارف الشام

ام اشجاه عصف النواقيس والاجراس تدعوا الناس الى عبادة
رب لم يكن له به عهد قبل يومه هذا ، وهو رب يساق — كما
يظهر — هذه الارباب التي تقوم في مكة ، والتي تمثل في هذه الانصاب
القائمة في الكعبة وما حول الكعبة

وهل هناك من اختلاف بين رب مكة ورب بصرى والشام
واذا كان هناك من اختلاف فابن الحقيقة وما هو سر هذا التباين ؟

....

ما كان شأن محمد بين السنة التاسعة من عمره والخامسة والعشرين ??

اما كتب السيرة فانها لتولك بشيء غريب من الصمت فلا تعرض لحياة اليتيم في هذه الفترة ، الا ان نقول انه كان راعياً للغنم ٠٠٠ فهل كان راعياً للغنم مدى هذه الاعوام العديدة ، ام تبدل رعي الغنم بشيء آخر ??

ولكن ما هذه الشوائع تملأ مكة وشعاب مكة ، عن امانة محمد واستقامته وخلقه واخلاقه ؟ مثل هذه الشوائع لا تخلق ارتجالاً ولا تسير بين الناس اذا لم تستبقها اعمال وفضائل ومكارم واخلاق ظاهرة معروفة ملموسة !!

فاين هذه الاعمال واين هذه الفضائل ؟ وهي لا تكون الا ان يتصل صاحبها بالناس اتصالاً وثيقاً ، واذا كان محمد قد ذهب يرعى الغنم في فتوته ، فكيف كان باستطاعته ان يتصل بالناس هذا الاتصال الوثيق ، والناس لا يرعون الاغنام في شوارع المدن وازقة البلد ؟ .

الذي اعتقده ان محمداً كان في هذه الفترة يتصل بالناس وباهل مكة خاصة بما كان يكلفه به عمه من نجارة وشراء وعطاء . وان ما عرفه الناس من امانته وما تحروه من صدقه في المعاملة هو الذي افضى بهم الى الترويج لهذه الظاهرة الخليقة بالتقدير

والاعجاب

وكذلك يشتهر اليتيم في مجالس قومه فيتحدثون عن امانته وحسن خلقه ؛ ويتكفون امتداح ما ينعم به من ظرف وحسن خلق و كريم اعراق ، وتستمتع خديجة الى هذه الشوائع فملا مكة فتكلف محمداً الذهاب بتجارة لها الى الشام على ان تعطيه افضل ما تعطى سواء ، فيرضى محمد ! ويركب رمال الطحراوات الى بصرى ومشارف الشام كرة اخرى .

وبوفق محمد في تجارته ، فاذا ما عاد الى مكة تزوج خديجة ، واخذت لتسقى له حياة عائلية جديدة

ومن المؤكد ان محمداً اخذ يفكر في هذه الفترة ، اي بين السنة الخامسة والعشرين والاربعين من عمره - وبعد ان اطمأن الى معاشه ومشربه - تفكيراً جدياً في العوالم التي حوله ، والاسرار التي تغمر هذه الارض ومن عليها . واداه تفكيره هذا الى التعمد في غار حراء ، يبحث عن الحقيقة ويفكر في اسرار المكون وبودي لو اوفق الى تصوير هذه الايام يقضيها سيد العرب في هذا الغار ، ولكن احداً من المؤرخين لم يعرض لها ، ولا حاول تفسيرها وتصويرها

ولذلك فلا يزال غار حراء سرّاً من الاسرار ولا يزال تعبد الرسول فيه لغزاً من الغاز الحياء ، ونحن اذا اطلقنا الفكر الى هذا الجبل ،

وحاولنا تصوير هذه الحياة المحمدية ، فقد لانكون بعيدين عن الحقيقة اذا ذهبنا نقول ان رسول الله كان يأوي الى الغار ما بين حاشيتي النهار ، نائماً حيناً ومفكراً حيناً اخر ، وان تعبده وهجوده وتقليب بصره في هذه السماوات العليا ، انما كان في الليل ، والقمر مشرق ، والهواء رطب بليل ، والسما غارقة في انوارها وضياؤها ، ومن المؤكد انه كان يغادر الغار ما بين حاشيتي الليل متمشياً على سفح الجبل مولياً وجهه شطر السماء ، كأنما هو يحاول الاتصال بها ، والتحدث اليها وما يزال هذا شأنه حتى تلمس اشعة الشمس شعوره الرسالة على جبينه وكتفيه

فاذا كان في الاربعين من عمره ارسله الله بشيراً ونذيراً يجرر الناس من عبودية الاوهام والجهالة ويدعوهم الى عبادة الله الواحد الاحد لا اله الا هو ، وصدع الرسول بالمر ربه ، واخذ يحمل على ما في مكة من نظم بالية عتيقة حملة عنيفة لا موارد فيها ولا هوادة ، فكان يقرع اسماع قومه بما ينزل عليه من آي القرآن ناعياً عليهم وثنيهم المنحطة ، ونظامهم الاجتماعي الفاسد الذي جعلهم شيعا ، وفرقهم الى فقراء واغنياء وسادة وعبيد ، منتقداً تفاخرهم بالاحساب والانساب ، محذراً لهم ان هم اصرروا على عتوهم واستكبارهم ان يصيبهم ما اصاب الامم من قبلهم عندما اعرضت عن رسلاها ، فحاق بهم العذاب بما كانوا يفعلون .

وليس هنا مجلس التبسط في صمود محمد امام قومه مدافعا عن
الحق والوحدة الالهية ، وكيف اوزي برسالته ، وكذب
واهين . ونابذه قومه وتذامروا منه ، وحص بعضهم بعضا عليه ،
واعرض عنه عامة الناس وتروكوه ، وكيف كان نصيب من
تبعه من قومه مثل نصيبه ابناء وابلاما وتعذبا ، ثم ما وفق اليه بعد
ذلك من توحيد العربية وتحرير العرب ، وخلقهم خلقا جديدا ،
ابدل مصالح التاريخ وغير وجه العالم .

هذا باب من اضخم ابواب تاريخ العرب والاسلام نتجاهله ، لا
اقوله عمداً ، وانما دلالا ونسيانا ، فلو قرعناه كرة بعد كرة ، لا طربنا
ما فيه من ايجاد ومفاخر ، ولحزنا ما نشاهده من فتوح وانتصارات
ولا ثارنا ما نرى على اديمه من دماء الاجداد ، هذه الدماء التي لا
يعرف احد مصحابها ، ولا يذكر اربابها ، وهم الذين كانوا لاجيال
خلت ملء السمع ملء البصر

واما نحن فان علينا واجبا مقدسا ، هو هذه السאלقات الضخمة
الفخمة من الاعوام ، نعيدها امرأ منظورا ، ونسيرها في التاريخ
الحديث شيئا واقعا

محمدر النبى

بقلم الفيلسوف الانكليزي الشهير كارليل (١)

البطل هنا ليس آلهما عند قومه ، ولكنه نبى مرسل يوحى اليه
وهي صورة جديدة للبطل والعبرية ، ذلك ان الصورة الوثنية الاولى
قد دالت ايامها ، وانقضى عهدها ، وليس بطوق الناس في مستقبلات
الايام ، معها بلغ البطل عندهم من خطورة الشأن ، وانبعثت العبرية
الى الايمان بانه آله يأمر وينهى وانه خالق العالم حقاً
والواقع ان اعتبار الرجل العظيم الها غلطة عظيمة فاحشة ،
ولكن الرجل العظيم ما برح وما يزال لغزاً من الالغاز ، لا تدري
الانسانية كيف نفسره ولا كيف تستقبله ، واهم ما يبعث على النظر
في تاريخ جيل من الاجيال او عهد من العهود ، هو في استقبال هذا
الجيل لرجله العظيم ، وسواء استقبلوه كآله او كنبي او غير ذلك

(١) كارليل كاتب وفيلسوف انكليزي كبير ، اشتهر في مؤلفاته
ببلاغة الاسلوب ، وعمق الآراء ، والاخلاص للحقيقة

فاننا واقعون في هذا الاستقبال على روحية هذا الجيل ، تفهم عقليته ونقع على مواطن الحقيقة في نفسه

ولقد اخترت محمداً ابحت في تاريخه هذه الظاهرة الثانية من عبادة البطولة في صورة نبي ، ليس لانه اشهر الرسل على الاطلاق ، بل لانه اكثرهم طواعية للبحث والتحقيق ولانه من اصدقهم باعتقادي ، ولست بمحاذر خطراً من البحث عنه ، فلا اخشى انقلابكم الى الاسلامية وهو ما يدفعني الى الاشادة بكل صفاته ، والبحث عن مرعظمته ، وماذا كان يريد من احسان في هذا العالم

اما اعتقاد بعض الغلاة المتطرفين في محمد الكذب ، وان ديانته ليست عبارة الا عن خزعبلات واكاذيب ، فامر لا يتفق والحقيقة التاريخية في شيء ابدأ ، ودعوى لا تقام عليها بينة ، وقول مردود يعود علينا بالحجل والعار ، وليس يصح من ابناء الحضارة الحاضرة الا صفاء الى مثل هذه الاقوال التي تعمرها الاهواء والمقاصد ، بل ان الواجب محاربة هذه الشوائم والمعتقدات المخجلة السميحة ، لان الرسالة التي اداها هذا النبي ما زالت سراجاً منيراً مدة اثني عشر قرناً لنحو مائتي مليون من الناس امثالنا ، الذين خلقهم الله كما خلقنا ، كما ان الكلمة التي اداها محمد ، يوم من بها اكثر خلق الله في عصرنا الحاضر - ولعل المحاضر يشير في هذه الجملة الى التوحيد وان الله وحده لا شريك له - . افيلقي في روح احدكم والحالة هذه ان الرسالة التي

عاش لاجلها ، ومات عليها مئات الملايين من البشر ، مما لا يستطيع
حصصهم قلم حاسب ، ا كذوبة وخدعة ؟؟

اما انا فلا استطيع الايمان بهذا الرأي ابدأ ، واذا كان الكذب
والغش يروجان بين الناس هذا الرواج ، ويصادفان عندهم مثل
هذا التصديق والايمان ، فما الناس الا بله مجانين وما الحياة الا
سخف وضلال

ومن الحق ان اقول ان مثل هذه المزاعم نبعث على الاسف ،
واذا اردنا ان نتفهم حقاً رغبة الله الحقيقية في خلق هذا العالم فيجب
ان نرmi بهذه الاقوال جانباً ، لانها تناج جيل غمره الشك وتسلبه
البحود وتخلله الفساد ، هو دليل على خبث القلوب ، وفساد الضمائر
وموت الارواح ، ولعل العالم لم ير رأياً افسد من هذا واغرق في
الضلالة من الترويج بين الناس بان رجلاً كاذباً قد تمكن من انشاء
دين في العالم ، والرجل الكاذب ليس بطوقه ان يبنى بيتاً من
الطوب ، اذا لم يكن علياً بخصائص الخير والجص والتراب ، ولا
يلبث ان ينهار بيته اذا لم يكن كما ذكرنا ، ويستحيل ان يبقى
قائماً على دعائمه اثني عشر قرناً يسكنه مائتا مليون من الانفس كما
هو الحال في الاسلام اليوم

والاخلاص الحق العميق اول مزايا الرجل العظيم ، لا اعني
اخلاص ذلك الرجل الذي لا يبرح يفتخر على قومه باخلاصه ، لان

هذا حقير جداً ، بل هو اخلاص سطحي مليء بالغرور ، ذلك ان اخلاص العظيم شيء لا يتحدث به صاحبه ولا يشعر به ، بل لقد يفرق احيانا فيلقي في روعه انه غير مخلص حقاً ، اذ من يستطيع ان يلزم منهج الحق والعدل يوماً واحداً ؟؟ اجل ان العظيم لا يفخر باخلاصه ، بل هو لا يسأل نفسه امخلصة هي حقاً ؟ كما ان اخلاصه غير موقوف على ارادته فهو مخلص برغمه ، وهو يرى الكون حقيقة كبرى نفزه وتروعه ، حقيقة لا يستطيع الهرب منها ومن جلالها الباهر ما حاول واراد

ان الله آيات كثيرة ، ومن آياته هذا العظيم الذي خلقه والذي هو احدث آياته واجدها ، والذي تولاه بالوحي وعلمه الحكمة ، فعلينا ان نصفي له ونستمع لمقاله

وما عمده في الواقع بالرجل المتصنع الكاذب يروج لاغراضه ويتذرع بالا حاييل الى رغباته ، وما الرسالة التي اداها لاحق وما كلمته إلا صوت صادق صادر من العالم المجهول ، ما هي بالكاذبة ولا الملفقة ولا كانت اعماله في هذه الدنيا بالبعيدة عن الاخلاص والصدق وما كان غير قطعة من الحياة نفطر عنها قلب الطبيعة لينير العالم ، كذلك اراد خالق الكون ، هذه هي الحقيقة ، وليس ينقضها ما يتهم به محمد من اخطاء وغلطات ، خصوصاً وان هذه الاخطاء لم يقم عليها برهان ، ولم تؤيدها حجة وهي ان صحت لا تهدم الحقيقة

الواقعة من ان محمداً كان رجلاً صادقاً

ان العرب الذين نشأ بينهم محمد امة شريفة كريمة ، نسكن
بلاداً كريمة ، وكلما خلق الله البلاد لهذه الامة ، فامتزج الروحان
والتقى الاخوان ، وكان هناك شبه قريب بين وعورة الجبال ، ووعورة
اخلاق السكان ، وبين جفاء منظرها ، وجفاء طباعهم ، ساء هادئة
وحر شديد ، وشمس شديدة اللمعان قوية النور ، وكان ياطف من
قسوة قلوبهم مزيج من اللين والدمائة ، كما كان يخفف من عبوسة
العريية ، رياض خضراء ووديان ذات امواه ، بلاد قاحلة ما يتجه
نظر احد اليها ، وقبائل وعشائر بدوية تعتمد في معاشها الاقتصادي
على التجارة وبعض الثمرات والماشية ، وما تنتضح به الماشية من
البان وغيرها .

وكان الاعرابي صامتاً لا يتكلم الا في ما يعنيه ، فقد كانت
ارضه خرساء ، تخالها بجرأ من الرمل ، شديدة الحر في النهار كثيرة
القر في الليل

ولا احسب اناساً شأنهم الانفراد وسط المفاوز والقفار بمحاذثون
الطبيعة ويناجون امرارها ، الا ان يكونوا من اهل الذكاء ، ووحدة
الخاطر ، وخفة الحركة ، وبعد النظر

....

والحق اقول ، لقد كان اولئك العرب قوماً اقوياء النفوس ،

شريفو الخلق ، شديدا الحزم ، قوبو الارادة وهي صفات الشريف
بين الرجال ، وكان احدهم يقصده الغريب عنه ، فيكرم مثواه
وبالغ في اكرامه وينحر له ، وقد يراه بعد ذلك فلا يرى
في مقاتلته كبير امر

ويقول بعد المؤرخين ان العرب واليهود من فصيلة واحدة ،
والحقيقة انهم شاركوا اليهود في مرارة الجد والصبر ، وخالفوهم في
حلاوة الشائل ورقة الظرف ، والمعية القريجة ، وارجية القلب ،
وكان لهم قبل زمن محمد منافسات شعرية ومطارحات ادبية ، كانت
تتظم مجالس في سوق عكاظ في جنوب العربية ، حيث كانت تقام
اسواق التجارة ، فاذا انتهوا من متاجرهم نئشداوا الشعر ، وتسابقوا
في حلبة البيان ابتغاء الجائزة تكون للاجود قريضا ، والابعد
تصرفا ، فترى الاعراب الجفاة ذوو الطباع الحشنة يترنحون لنغمات
القصيد ، ويتأبدون لجميل القريض

وعاش العرب دهورا خاملو الذكو غامضو الشأن ، جماعات
نعم بمناب جميلة وصفات كبيرة ، ينتظرون من حيث لا يشعرون
يوما يشاد فيه ذكرهم ، ويطير في الآفاق صيتهم ، ويرفع الى عنان
السما صوتهم ، وكانت وثنياتهم قد فشلت في كشف الحقائق
الكبرى لهم ، وآذنت بالسقوط والاضمحلال ، وكان قد بلغهم على
مدى القرون انباء مختلفة تتعلق باكبر حادث في التاريخ وهي حياة

المسيح ووفاته فلم تعد هذه الانباء من التأثير في قلب البلاد العربية
وبين شتى جماعاتها ، ومختلف قبائلها

— ورأى محمد النور في تلك الفترة عام ٥٧٠ ميلادية ، ومات
والده قبل مولده بشهرين ، وماتت امه وهو في السادسة من عمره ،
وكان لها شهرة من جمال وفضل وعقل حصيف ، فتبناه جده
عبد المطلب وهو شيخ قد ناهز المائة من عمره ، وكان صالحاً برآ
وكان ابنه عبد الله — والد محمد ، احب اولاده اليه ، فابصرت
عينه الهرمة في محمد صورة فتاه المحبوب فعطف على اليتيم الصغير
بملء جوارحه ، وكان يقول بوجوب العناية بهذا الصبي الجميل ،
الذي فاق سائر الاسرة والقبيلة حسناً وجمالاً ، ولما حضرت
الشيخ الوفاة كان الفتى الجميل في التاسعة من العمر ، فاحتضنه عمه
ابو طالب وهو رأس الاسرة بعد عبد المطلب فاحسن تربيته —
وكان رجلاً عاقلاً — على احسن التقاليد العربية ولما شب محمد
وترعرع صار يصحب عمه في اسفاره التجارية وفي الثامنة عشرة
من عمره نراه فارساً يتبع عمه ، ولعل اهم اسفاره مع عمه السفرة
التي وقعت قبل هذا التاريخ بوضع السنين يوم ذهب عمه الى معرض
في الشام فوجد الفتى نفسه في عالم الديانة المسيحية ، ولست
ادري ما اقوله في ذلك الراهب النسطوري (سرجيوس) الذي
يقال ان ابا طالب ومحمداً اقاما معه في دار واحدة ، ولا ماذا

يتعلمه غلام في مثل هذا السن من اي راهب ما ، والواقع ان في هذه القصة بعض الاغراق لان محمداً لم يكن يتجاوز اذ ذلك الرابعة عشر^(١) وهو لا يعرف لغة ولا يقرأ كتاباً ، ولا شك ان ما شاهده في الشام من الوان الحياة كان خليطاً مشوهاً ، فكان يرى ما ينكره ولا يعرف لانكاره سبباً ولا وجهاً ، ولكن الغلام ثاقب النظر ، فلا بد وان يكون قد انطبع على لوحة فؤاده ما رآه وابصره دون ان يفهمه ريشما تناول الايام ما رآه وابصره بالتقليب والتهذيب ، فيخرج من كل ذلك آراء وعقائد ونظرات نافذات ، وبذلك كان لهذه الرحلات الشامية فوائد كثيرة لا يستهان بها

ويجب ان لا يسهى عن بالتنا امر آخر وهو ان محمداً لم يتقف في مدرسة ، ولا تلقى درساً على استاذ ، وصناعة الخط كانت حديثة العهد في زمنه ، ومن المؤكد ان محمداً لم يكن يعرف الكتابة وكل ما تعلمه لا يتعدى حياة الصحراء والوانها ، وكل ما وفق الى معرفته الى ما شاهده بعينه ، وسمعه باذنه ، ولم يضر به هذا ولم يزر به ، ولعل هذا الجهل بالعلوم والمعارف التي كانت بعيدة عنه او قرينة منه كان نافعاً له مفيداً لشخصه ، لانه كان بنفسه غنياً عن كل ذلك ، فقد نشأ وعاش وحده في احشاء الصحراء ، ونا فيما بين الطبيعة لا سمير له الا نفسه وفكره .

وكان محمد فتى مفكراً هادئاً وهو ما يبرح طفلاً ، اسماء
 رفقائه الامين — اشارة لصدقه ووفائه — فكان رجل صدق
 واخلاص في قوله وعمله ونفكيره ، فلا يتكلم الا بمقدار ، ولا
 ينطق الا لمعنى وغاية ولا يتناول غرضاً الا انار شبهاته ، وكشف
 ظلمته واستثار دفينته ، اوقد رأياه طوال عمره رجلاً راسخ المبدأ
 صارم العزم ، بعيد الهمة كريماً برأ وروفاً نقياً ، فاضلاً حراً ، سهل
 الجانب مع شدة في الاخلاص على المبدأ ، لين العريكة ظاهر البشر
 والطلاقة ، حميد المعشر ، حلو الالباس ، حسن المخاطبة والمنادرة
 نضى وجهه ابتسامة مشرقة من فؤاد صادق ، لان هناك من تكون
 ابتسامته كاذبة لكذب اعماله واحواله ، هؤلاء لا يستطيعون ان
 يتسموا ، وكان محمد جميل الوجه ، مضيء الطلعة ، حسن القامة
 زهي اللون ، له عيان سوداوان ، ثلثاً لان ، واني لاحب في جبينه
 ذلك العرق الذي كان يتضح وبسود ويظهر حين بغضب ، وهذا
 العرق خصيص في بنى هاشم ولكنه كان في محمد ايضاً واطهر ،
 والخلاصة انه كان حاد الطبع ، ناري المزاج ، عادلاً صادق النية
 ذكي اللب شهم القلب ، ممتلئاً ناراً ونوراً عظيماً بفطرته ، لم تثقفه
 مدرسة ولا هذب معلم ، وكان غنياً عن ذلك كله ، فادى عمله في
 الحياة وحده في اعماق الصحراء .

اما قصته مع خديجة فانها جميلة رائعة ، لقد كان يعمل لها

اولاً كقيم على متاجرها الى الشام ، وكان منهجه اقوم منهج نغمه
الامانة والحزم ، فزادت به ثقته ، وكثر له شكرها ، وقوي حبها له
حتى تزوجته ، وقصة زواجهما من اجل ما نقله اليها العرب من
القصص ، ولما زوجت منه كانت في الاربعين من عمرها ، وكان
هو بضرب في الخامسة والعشرين ، وكان لا يزال عليها مسحة
من ملاحه وجمال ، وبظهر انه عاش مع زوجه هذه على اتم وفاق
والفة وصفاء وغبطة مخلصاً لها الحب وكل اخلاص

وكما يبطل دعوى القائلين ان محمداً لم يكن صادقاً في رسالته
بل ملفقاً مزوراً ، ما نعرفه من انه قضى عنفوان شبابه في عيشة هادئة
مطمئنة ، ما حاول اثناءها ضجة ولا حدثاً ، مما يكون من وراءه
شهرة ومجد وسلطان ، ولم يتحدث برسالته السماوية الا في الاربعين
من عمره ، وكل حوادثه وشواذه حقيقة كانت او ملفقة تبتدى من
التاريخ الذي توفيت به زوجه وكان في الخمسين من عمره ، مما يدل
على انه حتى هذا الوقت كان قانعاً بالعيش الهادي الساكن ، وكان
حسبه من الحياة وشهرتها ثقة جيرانه به ، وجميل ظنهم باعماله ، واذا
كان هناك من شهرة وعظمة وسلطان في ما انصرف اليه من اعمال
بعد هذا التاريخ فذلك بعد ان ذهب الشباب واقبل المشيب ، وهي
ظاهرة غريبة لان الناس لا ينتظرون مثل هذا السن لطلب
المجد والسلطان

والواقع ان هذه المزاعم التي يتخيلها البعض في اغراض محمد بعيدة عن الحقيقة والواقع ، فان ابن القفار لم يكن يطلب ايجاد الدنيا ولا كان يهيمه من امرها لا قليلاً ولا كثيراً .

نفس صامته كبيرة ، ورجل من الذين لا يستطيعون إلا الاخلاص حقاً ، فاذا رضى غيرهم بالاصطلاحات الكاذبة ، ترى محمداً لا يرضى بمألف الاكاذيب ومختلف الاباطيل ، رجل منفرد بنفسه العظيمة ، يعيش مع الحقائق الكونية ، فيسطم امامه سر الوجود وما فيه من احوال ومخاوف وغير ذلك ولم يكن هناك اباطيل تحجب ذلك عنه ، فكان دائماً اسان حال هذا السر الهائل يتناجيه قائلاً (ها انذا) ومثل هذا الاخلاص لا يخلو من معنى الهى مقدس ، وما كلمة من مثل هذا الرجل إلا صوت خارج من صميم قلب الطبيعة وعلى الناس ان يستمعوا لذلك ويتركو كل شي سواه لان ما ما عدا هذا الكلام هياً وباطل . . .

والواقع ان محمداً ما زال منذ ايام رحلاته واسفاره يحول بخاطره آلاف الافكار : ماذا انا ؟ وما هذا الشيء العديم النهاية الذي اعيش فيه ، والذي يسميه الناس كوناً ؟ وما هي الحياة ؟ وما هو الموت ؟ وماذا اعتقد ؟ وماذا افعل ؟ فهل اجابته على ذلك كله صخور جبل حراء او ناطحات الطور او تلك القفار والفلوات ؟ كلا فان هذه كلها لا تستطيع جواباً ، وما الجواب الا في نفسه

وروحه ، وما اودع الله في هذه الروح من اسرارها .
وهي بعد مسائل يجب على كل انسان ان يسأل نفسه عنها
ومثلنا في ذلك مثل غيرنا من الناس ، وقد احس بذلك هذا الرجل
الفطري ، لان هذه الامور هي كبرى المسائل عنده وغيرها تافه
عديم الخطر ، وهو ليس بواجد جواباً معقولاً لهذه الامور في ما
تروج له فرق اليونان الجدلية من آراء وافكار ، ولا هو واقع عليه
في تقاليد اليهود ورواياتهم ، ولا في النظام الوثني عند العرب ، وان
من اهم خصائص البطل واولى صفاته واخرها ان ينظر من خلال
الظواهر الى البواطن ، فاما العادات والاعتبارات والاصطلاحات
فهي بين احد امرين ، اما تكون جيدة او رديئة ، وهو في كل هذا
يحاول الوصول الى الحقيقة ، ذلك انه لا بد ان يكون وراء هذه
الاوثان التي يعبدها القوم شيئاً ، وهي ليست في الواقع غير رموز له
واشارة اليه ، والا فهي باطل وزور وقطع من الخشب الاسود
لا تضر ولا تنفع .

وما هذا الزجل والاصنام ولو عبدها رجال قريش ومشت اليها
قبائل العرب كافة ، ان هناك حقيقة ننظر اليه وعليه ان يقع على
جواب لها ، او يعيش كسواه وغيره في ظلمات الجهل الممجية .
فاما ما يتهمونه به من الطمع وحب الجاه حين يروونه ينصرف
الى بحث الحقيقة الانسانية فتهمة باطلة ، وماذا نستطيع البلاد

العربية من اقصاها الى اقصاها ومعها تاج قبصر وصولجان
كسرى ، وجميع ما في الارض من تيجان ان تفعل مثله ، انه لا
يريد الارض ولا يعمل لها ، ولكنه يريد السماء ويسعى لمعرفة
الحقيقة فيها ، وبعد فما مصير هذه التيجان والممالك والدول بعد
حين من الدهر ؟ انها زائلة وكل شيء زائل ، واما الحقيقة فتظل
حية الى الابد ، وهو ما يسعى اليه محمد ويربده ، ولذلك فلنضرب
صفحة عن هذه التهم التي يرمى بها محمد ، لان في موافقتنا وتأيدنا
لهذه المزاعم عاراً وسبة ، وهو امر يجب ان نترفع عنه ونربأ
بانفسنا من السقوط في مثله

كان من عادة محمد ان يعتزل الناس في شهر رمضان من كل
سنة ، فينقطع الى الكون والوحدة ، كعادة العرب ، وهي عادة
جليل نفعها مثل هذا الرجل ، يسائل ضميره ويمجوره صامتاً بين
هذه الجبال التي لا تنطق كلمة ، ولا تخير جواباً ، فاتحاً صدره لصوت
الكون الخفي ، يستمع الى ما في اعماق الحياة من حقائق صادقة لا
يعتورها ضلال ولا تزوير ، وكان محمد في الاربعين من عمره لما
خلا الى نفسه في جبل (حراء) قرب مكة ليصرف شهر رمضان
في الصلاة والعبادة ، وفي التفكير في تلك المسائل الكبرى التي
كانت تشغل فكره وتثير عواطفه .

جاء يوماً الى زوجته خديجة يقول لها : انه بفضل الله

وحنانه قد استجلى غامض الامر ، وعرف الشك من اليقين ، وان
 هذه الاصنام ليست في الواقع غير اخشاب صغيرة ، وانه لا آله
 الا الله وحده لا شريك له ، وعلينا ان نترك الاصنام وننظر اليه ،
 وان الله هو العظيم القوي ، وكل ما خلا ذلك باطل ، وليس
 غيره حقاً ، هو الذي خلقنا من العدم وهو الذي يرزقنا ، والمخلوقات
 كلها ليست في الحقيقة غير خيال له ، وستار يحجب النور الابدي ،
 وان القوة كل القوة هي في التسليم لامره ، والاذعان لمشيئته
 والرضاء بقسمته في الدنيا وفي الآخرة ، ومهما يصيبنا من خير
 او شر فلنقبله بطلاقة وجه ، ونفس مغتبطة .

وانه لمن السخف بمقدار عظيم ان يحاول الانسان منا
 بدماغه الصغير ان يتفهم الكون العظيم ، وعليه ان يعتقد بان
 للكون قانوناً عادلاً ، وان صعب عليه دركه ، وان الخير هو
 اساس هذا الكون وان الروح فيه هي روح الآله جل شأنه ، نعم
 عليه ان يعرف ذلك ويتفهمه ويؤمن به في سكوت وتقوى ،
 خاضعاً له ، دون ما سؤال

هذا روح الاسلام ! وهذا هو ايضاً روح النصرانية ،
 والاسلام لو نفقهون ضرب من النصرانية ، والاسلام والنصرانية
 يأمراننا ان نتوكل على الله قبل كل شيء ، وان نكظم النفس عن
 الشهوات وننهي القلب عن الهوى ، وان لا نجتمع في عنان المني ،

وان نصبر على البؤس والاسي ، وان نعرف انا لا نعرف شيئاً ، وان
 نرضى من الله بكل ما قسم ، ونعدها يداً بيضاء ، ونعمة غراء ،
 ونقول الحمد لله على كل حال ، الايمان بالله ، ولو كان في الايمان
 الموت ، وتضحية النفس في سبيله جل جلاله ، هذا هو الاسلام
 وهذا اشرف ما نزل من السماء على بني الارض
 ولقد اصغت اليه زوجه خديجة الصالحة في اضطراب وشك ثم
 آمنت واجابت :

« اي وربى انه لحق » وتتخيل ان محمداً شكر لها ذلك الصنيع
 ورأى في ايمانها بكلمته المخلصة المقذوفة من بر كان صدره ، جميلاً
 يفوق كل ما اسدت اليه من قبل ، فانه ليس ارواح لنفس المرء ،
 ولا ائلاج لحشاء من ان يمد له شريكاً في اعتقاده ، وكذلك ما
 انفك محمداً يذكر خديجة حتى لقي ربه ، حتى ان عائشة - زوجه
 الصغيرة المحبوبة تلك التي اشتهرت بين المسلمين بجميع المناقب
 والفضائل طول حياتها - هذه السيدة البارة الجمال والفتنة ، سألته
 ذات يوم : « الست الان افضل من خديجة ؟ لقد كانت ارملة مسنة
 قد ذهب جمالها ، وارك تحبني اكثر مما كنت تحبها ، فاجاب محمد
 « كلا والله لست افضل منها ، وهي التي آمنت بي ، والكل
 كافر منكسر ، ولم يك لي في هذا العالم الا صديق واحد - وهذا
 الصديق هي »

وجعل يذكّر رسالته لهذا وذاك ، فما كان يصادف الا جموداً
وسخرية ، حتى انه لم يؤمن به في خلال ثلاثة اعوام الا ثلاثة عشر
رجلاً وذلك منتهى البطء وبس التشجيع ، وهو امر منتظر في مثل
حاله ودعوته وبعد هذه السنين الثلاث آدب مآدبة لاربعين من ذوي
قربته ، ثم قام بينهم خطيباً ، فذكر دعوته ودعاهم الى الايمان بالله
وسألمهم ايهم يمد يده اليه ويتناصره

وبينا القوم صامتون وقد تملكهم الحيرة والدهشة وثب علي
رضي الله عنه - وكان غلاماً في السادسة عشرة من عمره - وقد
غاضه مكوت الجماعة فصاح في احد لهجة :
- انا ذلك النصير والظهير

ولم يكن القوم كلهم من اعداء محمد ومباذيه ، وكلهم من
ذوي قربته ، وفيهم ابو طالب عم محمد وابو علي ، ولكن روية
رجل كهل امي يساعده غلام في السادسة عشرة يقومان في وجه
العالم باجمعه ، كان مما يدعو الى العجب المضحك
ولكن الامر في الواقع لم يك مضحكاً ، بل كان في نهاية
الجد والخطورة ، اما علي نفسه فلا يسعنا الا ان نحبه ونعشقه ، فانه
فتى شريف القدر كبير النفس يفيض وجدانه رحمة وبراً ، وتلظي
فؤاده شجاعة وحاسة ونجدة ، وكان اشجع من الاسد ،
ولكنها شجاعة مزوجة بركة ولطف ، ورأفة وحنان ، جدير بها

فرسان الصليب في القرون الوسطى ،

وليس السؤال المهم عند الطبيعة « افيك قشور ام لا ! بل افيك
قمح ؟ واستطيع ان اقول لبعض الناس « انت نقي ؟ نقي جداً ولكن
فيك من القشور شيء كثير ، وانت بعيد عن الاخلاص ، بعيد
عن الطبيعة ، انت لا شيء والطبيعة لا تعرفك ، وهي منك براء
لقد اسميت الاسلام ضرباً من النصرانية ، ولو نظرنا الى ما كان
من سرعته الى القلوب وشدة امتزاجه بالنفوس واختلاطه بالدماء
في العروق لايقنا انه كان خيراً من تلك النصرانية التي كانت اذ
ذاك في الشام وغيرها ، تلك النصرانية التي كانت تصدع الرأي
بضوضائها الكاذبة ، وتترك القلب باباطيلها قفراً ميتاً ، وما كان فيها
من عنصر الحق كان ضئيلاً جداً ، وبفضله آمن الناس بها ، وحقاً انها
كانت ضرباً كاذباً من النصرانية ، ولكنها ضرب حي على كل حال
ذو حياة قلبية وليست مجرد قضايا منطقية قفرة

ونظر محمد من وراء اصنام العرب الكاذبة ومن وراء مذاهب
اليونان واليهود ، ورواياتهم وبراهينهم ، ومزاعمهم وقضاياهم ، نظر
ابن القفار والصحار الى بقلبه البصير الصادق ، وعينه المتوقدة
الجلية الى لباب الامر وصميمه فقال في نفسه : الوثنية باطل ، وهذه
الاصنام التي تصقلونها بالزيت والدهن فيقع عليها الذباب ، اخشاب
لا تنضر ولا تنفع ، وهي نكر وفظاعة وكفروا تعلمون ، انما

الحق ان لا اله الا الله وحده لا شريك له خلقكم ويده حيانتكم
وموتكم وهو أرأف بكم منكم بانفسكم ، وما اصابكم من شيء
فهو خير لكم لو كنتم نفقون

وان ديناً آمن به اولئك العرب الوثنيون وامسكوه بقلوبهم
النارية لجدير ان يكون حقاً وان يكون صادقاً

وجاء محمد وشيع النصارى نقيم اسواق الجدال ، وتتخاطب
بالحجج الخائرة ، ولقد جاء الاسلام على تلك الممل الكاذبة والنحل
الباطلة فابتلعها وحق له ان يتلعها ، لانه حقيقة خارجة من قلب
الطبيعة ، وما كاد يظهر الاسلام حتى احترقت فيه وثنيات العرب
وجدل النصرانية ، وكل ما لم يكن بحق كان خطباً ميتاً اكنته نار
الاسلام

ولقد كان محمد يعلي القرآن على اصحابه في فترات مختلفة في
السلم والحرب ، وخصوصاً بعد هجرته الى المدينة ، هذا هو الكتاب
الذي تحدى محمد واصحابه العرب بان يأتوا بسور من مثله ، وفرط
اعجاب المسلمين به وقولهم باعجازه ، دليل على اختلاف الازواق ،
وتباين الاساليب الكتابية في الامم المختلفة ، والترجمة تذهب حتماً
بجمال الصنعة ، وحسن الصياغة ، فلا عجب والحالة هذه اذا وجد
الاوربي غناء في قرائته ، لانه يقرأه كما يقرأ الصحف فلا يزال
يقطع في صفحاتها قفاراً من الكلام الممل حتى يعثر على كلمة مفيدة

وفكرة ناضجة ، اما العرب فيرونه على عكس ذلك ، لما بين آياته
واذواقهم من الملائمة ، ولانهم يقرأونه في لغتهم ، فلا تذهب الترجمة
برونقه وروعته ، فلذلك رآه العرب من المعجزات ، واعطوه من
التبجيل ما لم يعطه انقي النصرارى لانجيلهم ، وما برح هذا الكتاب
في كل زمان ومكان قاعدة التشريع والعمل ، والقانون المتبع في
شؤون الحياة ومسائلها ، والوحي المنزل من السماء هدى للناس ،
وسراجاً منيراً يضيء لهم سبل العيش ، ويهديهم صراطاً مستقيماً
اذا خرجت الكلمة من اللسان لم تتجاوز الاذان ، واذا
خرجت من القلب نفذت الى القلب ، والقرآن خارج من فؤاد
محمد ، فهو جدير ان يصل الى افئدة سامعيه وقارئيه ، وقد زعم
« براديه » وامثاله انه طائفة من الاخاديع والتزاويق لفقها محمد
لتكون اعداراً له عما كان يرتكب ويقترف ، وذرائع لبلوغ
مطامعه وغاياته ، ولكنه قد آن لنا ان نرفض جميع هذه الاقوال ،
فاني لأمت كل من يرمي محمداً بمثل هذه الاكاذيب ، وما كان
ذو نظر صادق ليرى قط في القرآن مثل ذلك الرأي الباطل .
والقرآن لو تبصرون ما هو الا جمرات ذاكيات قدفت بها نفس
رجل كبير النفس بعد ان أوقدتها الافكار الطوال ، في الخلوات
الصامتات ، وكانت الخواطر تتراكم عليه باسرع من لمح البصر ،
وتتزاخم في صدره حتى لا تكاد تجد مخرجاً ، ولقد لاقى محمد في

رسائله ايدياً كثيراً جعله في نصب دائم وعناء مستمر فلم تذوق نفسه
الراحة بعد قيامه بالرسالة قط ، وقد اتخيل روح محمد الحادة
النارية وهي تتحمل طول الليل الساهر ، يطفو بها الوجد ويرسب ،
حتى اذا اسفرت لها بارقة رأي حسبه نوراً هبط عليها من السماء
وكل عزم مقدس بهم به يخاله من جبريل ووحيه .

اما ان نعتقد انه افك محتل ، فهذا ما نرفضه ولا نقبله ابداً .
وقد قيل وكتب كثيراً في شهوانية الدين الاسلامي ، وأرى
كل ما قيل وكتب جوراً وظلماً ، فان الذي اباحه محمد مما تجرمه
المسيحية لم يكن من تلقاء نفسه ، وانما كان جارياً متبعاً لدى العرب
من قديم الازل ، وقد قلل محمد هذه الاشياء جهده ، وجعل عليها
من الحدود ما كان في امكانه ان يجعل ، والدين المحمدي بعد ذلك
ليس بالسهل ولا بالهين وكيف ومعه كل ما تعلمون من الصوم
والقواعد الصعبة الشديدة ، وفيه الصلاة خمساً في اليوم ، والحرامان
من الخمر ، وليس كما يزعمون ، كان نجاح الاسلام وقبول الناس اياه
لمسهولته ، لانه من الخش الطعن على بني آدم والقدح في اعراضهم
ان يتهموا بان الباعث لهم في محاولة الجلائل واتيان الجسائم ، هو
طلب الراحة واللذة ، والتماس الحلو من كل صنف في الدنيا والاخرة !
وكان محمد اخا شهوات برغم ما اتهم به ظلماً وعدواناً ، وشد
ما نجور ونخطي ، اذا حسبناه رجلاً شهوباً ، لاهم له الا قضاء ما ربه

من الملاذ ، كيلا فما ابعد ما كان بينه وبين الملاذ ، لقد كان زاهداً متشققاً في مسكنه ، ومأكله ومشربه ، وملبسه ، وسائر اموره واحواله وكان طعامه عادة الخبز والماء ، وربما تابعت الشهور ولم توقد بداره نار وانهم ليدكرون - ونعم ما يذكرون - انه كان يصلح ويرفو ثوبه بيده ، فهل بعد ذلك مكرمة ومفخرة ؟ فخبذا محمد من رجل خشن اللباس خشن الطعام ، مجتهد - في الله قائم النهار ، ساهر الليل ، يدأب في نشر دين الله ، غير طامح الى ما يطمح اليه اصاغر الرجال من رتبة او دولة او سلطان ؛ غير متطلع الى ذكر او شهرة كيفما كانت ، رجل عظيم والله ، والا فما كان ملائقاً من اولئك العرب الغلاظ توقيرا واحتراما واكباراً واعظاما ، وما كان يمكنه ان يقودهم ويعاشرهم معظم اوقاته ، ثلاثا وعشرين حجة وهم ملتفون به يقاتلون بين يديه ، ويمجاهدون حوله ، لقد كان في هؤلاء العرب جفاء ، وغلظة ، وبادرة ، وعجرفة ، وكانوا حماة الانوف ، اباة الضيم ، وعز المقادة ، صعاب الشكيمة ، فمن قدر على رياضتهم ، وتذليل جانبهم حتى رضخوا له واستقادوا ، فذلكم وايم الله بطل كبير ، ولولا ما ابصروا فيه من آيات النبل والفضل ، لما خضعوا له ولا اذعنوا

وظني انه لو كان اتبع لهم بدل محمد قيصر من القياصرة
بشاجه وصولجانه ، لما كان مصيبا من طاعتهم مقدار ما ناله محمد في

ثوبه المرقع بيده ، وكذلك تكون العظمة ، وهكذا تكون
الابطال

واني لاحب محمداً لبراءة طبعه من الرياء والتصنع ، ولقد
كان ابن القفار هذا رجلاً مستقل الرأي ، لا يعول الا على نفسه ولا
يدعي ما ليس فيه ولم يك متكبراً ولكنه لم يكن ذليلاً ، فهو
قائم في ثوبه المرقع كما اوجده الله وكما اراد ، يخاطب بقوله الحر
المبين ، قياصرة الروم واكاسرة العجم ، يرشدكم الى ما يجب عليهم
لهذه الحياة وللحياة الاخرى وكان يعرف لنفسه قدرها ، ولم تخل الحروب
الشديدة التي وقعت له مع الاعراب من مشاهد قسوة ، ولكنها لم
تخل كذلك من دلائل رحمة وكرم وغفران ، وكان محمد
لا يعتذر من الاولى ولا يفتخر بالثانية ، اذا كان يراها من وحي
وجدانه ، ولم يكن وجدانه لديه بالمتهم ولا شعوره بالظنين

وفي الاسلام خلال اراها من اشرف الخلال واجلها ، وهي
المساواة بين الناس ، وهذا يدل على اصدق النظر ، واصوب الرأي
فنفس المؤمن راجعة بجميع دول الارض والناس في الاسلام سواء .
والاسلام لا يكتفي بجعل الصدقة سنة محبوبة ، بل يجعلها
فرضا محتماً على كل مسلم ، وقاعدة من قواعد الاسلام ، ثم يقدرها
بالنسبة الى ثروة الرجل ، فتكون جزء من اربعين من الثروة ،
تعطي الى الفقراء والمساكين والمنكوبين ، جميل والله كل هذا

وما هو الا صوت الانسانية - صوت الرحمة والاخاء والمساواة ،
يصيح من فؤاد ذلك الرجل - ابن انقار والصحراء

....

وينكر البعض تغلب الحسية والمادية على جنة محمد وناره ، فاقول
ان العيب في ذلك على الشراح والمفسرين لا على ما جاء في الكتاب ،
فان القرآن قد اقل جدا من اسناد الحسيات والماديات الى الجنة
والنار ، وكل ما فيه عن هذا الشأن ايماء وتلميح ، وانما المفسرون
والشراح هم الذين لم يتركوا لذة حسية ، ولا متعة شهوية حتى
الحقوها بالجنة ، ولا عذابا بدنيا ، وألما جثانيا ، حتى اسندوه الى النار
واي دليل اشهر يبراه الاسلام من الميل الى الملاذ من شهر
رمضان الذي تلجم فيه الشهوات ، وتزجر النفس عن غاياتها ، وتمنع
عن ما ربهها وهذا هو متعهي العقل والحزم ، فان مباشرة اللذات
ليس بالمنكر ، وانما المنكر هو ان تذلل النفس لجبار الشهوات ،
وننقاد لحادي الاوطار والرغبات ، ولعل امجد الخصال واشرف
المكارم ، هو ان يكون للمرء من نفسه سلطان ، وان يعمل من لذاته
لا سلاسل واغلال تعبيه وتعتاص عليه ، اذا هم ان يصدعها ، بل
حليا وزخارف متى شاء ، فلا شيء اهون عليه من خلعتها ، ولا اسهل
من نزعها ، وكذلك امر رمضان سواء ان كان مقصودا من محمد
معينا ، او كان وحي العزيزة والهاما فطريا ، فهو والله نعم الامر

محمد الأمين الصادق

بقلم اميل درمنغهم الكاتب الافرنسي^(١)

عرض هذا الكاتب للمصادر التي استقى منها كتابه عن محمد ، و اشار الى اختلاف المستشرقين العظيم في بحث سيرته ، و درس تاريخه ، و كيف انه وجد النتائج التي وصل اليها المحدثون ناقصة جداً ، ف المستشرق الفلاني يحكم بان محمداً كان اعلى من ابناء من عصر ، و الآخر يقول انه كان شبيهاً بهم من كل وجه ، و هذا يقول انه توفي على اثر تحمة ، و آخر يقول انه اصابته حمى منشؤها كثرة صومه ، و قال (لامارتين) : « انه لم يكن الهاً ولكنه كان اكثر من رجل اي كان نبياً » ، و زعم (سبرنغر) انه كان مصاباً بالهستيريا ، فهدم هذا الزعم « بانيسكي » كما صرح (ماسينيون) بان محمداً كان على تمام الاعتدال في مزاجه ، و اما الاب لامنس

(١) اميل درمنغهم من كتاب الفرنسيس ، اقام ببلاد المغرب وخالط المسلمين فيها ، و هو من كتاب الغرب المخلصين العادلين في احكامهم ، و كتابه الاخير عن « حياة محمد » آية في الاعتدال والاخلاص ، مع انه كاثوليكي متمصب لدينه .

فهو وان كان من احدث المستشرقين العصرين واكثرهم اطلاعا
الا انه كذلك من اكثرهم تعصبا ، وقد ذهبت (جيزوتيه)
برائع بحوثه ، وعظيم معلوماته

ويعرض (درمنهم) لنشأة محمد فلا تستشعر في بحثه شيئا من
الريبة في صدق محمد واخلاصه في دعوته ، فاذا وصل الى بعثة
الرسول قال : « كان محمد في حالة بحران فكان يئشده السكون
في تلك الجبال التي كان يذهب فيخلو فيها بنفسه متأملا في السماء
ذات الكواكب ، منصتا الى ما كان يسمعه من اعماق اعماق قلبه
وهو الرجل الامي الفطري الصادق ، وذلك الصوت هو صوت
الحقيقة الابدية الخارج من قلب الاشياء نفسها ، وقد كان يشعر بان
ما يجري في عصره من امور لم يكن مستقيا ، وكان لا يطيق الا
الحق ، والحق الذي لا ريبه فيه ، فالحياة التي كانت عليها قريش
لم تكن حياة صحيحة ، متمولون يبعثون بقوافل للتجارة ويربحون
ارباحا فاحشة ، واعراب بدو يشنون الغارات ولا يعرفون الا الفوضى ،
وافاقون يفعلون كل ما يخطر ببالهم ، وكل هؤلاء لا يحيون حياة
صحيحة ، وينسون ان الاصنام المصفوفة في الكعبة ليست الا
معبودات باطلة ، وان (الهبل) ذا اللحية الكبيرة لم يكن الا باطلا .
وقال : لم يكن محمد ممن لا يعرف العلم الباطني ، نعم لم
يكن متصوفا بالمعنى المعروف ، الا انه كان ممن يرى ان الامور

التي في الغيب اعظم من الامور التي تحت الحس ، فالنظام الروحي في نظره هو الالم وهو الوجود والحقيقي ، فمحمد قد قبض على هذه الحقيقة بيده ونادى الناس ليمسكوا بها ، جاء بقلب خال من كل كذب ، ومن كل ثقافة باطلة ، ومن كل نخفخة فارغة ، وامسك بكلتا يديه بالعروة الوثقى ، ولا يمنع هذا من انه كان عملياً تام المعرفة باحوال العالم المادي ، بل كان ذلك التجرد الروحي اعون له على ادارة امور الدنيا ، وهكذا كان كبار الروحانيين في العالم يتغلبون على العالم المشهود بالعالم غير المشهود ..

فيرى القاري ان هذا الرجل الافرنسي الكاثوليكي لم يهتم بمحمداً صلوات الله عليه بريبة ، ولا حمل دعايته الى الله على مأرب دنيوي ، ولا رماه بشيء من الاكاذيب التي طلما رماه بها كثير من الاوروبيين عن بغض وتعصب وعن جهل وخطل .

ويعود درمنفهم الى تصوير محمد قبيل البعثة والوحي فيقول :

« في نواحي سنة ٦١٠ للمسيح بلغ البجران النفسى بمحمد اشده ، لا يستطيع ان يتصور حالة قومه دون ان يتألم ويضطرب قلبه اشفاقاً ، وكان يحس ان امرأ ضرورياً جداً ينقصه وينقص قومه وكان يرى العرب وكل قبيلة منهم تعكف على صنمها تعبده وتقدم اليه بالعبودية يتعاملون بذلك عن الحقيقة الواحدة

وهي الحقيقة الالهية

وكان قلب محمد قد خلا من كل فكر غير التفكير بالله ،
وكان قد تجرد من كل قوة غير هذه القوة ، وكان قد عرف الله
وعرف العقيدة بالله عند نصارى سورية او مكة ، وعرف ان
هناك كتباً سماوية ، وان رسلاً موحى اليهم كانوا يكلمون اقوالهم
بلسان الحق تعالى ، وانه كلما ضل الناس عن الصراط المستقيم
كانت تأتي رسل فتهيب بهم اليه ، وتذكركم بالحقيقة السرمدية
فالديانة التي كان يبعث الله بها الرسل لم تزل واحدة ، وانما كان
البشر يحرفونها عن مواضعها ، فيعود المرسلون ويردونهم الى اصلها ،
فالامة العربية كانت لذلك العهد في ابان ضلالها ، فلم يكن هذا
هو الوقت الذي حانت فيه رحمة الله تعالى ان تتدارك هذه الامة ؟
واحب محمد في تلك الفترة العزلة ، فكان يشعر في خلوته
بجبل حراء بسرور عميق يتزايد يوماً فيوماً ، فكان يقضي هناك
الاسابيع وليس معه الا القليل من الغذاء لان نفسه كانت تلتذ
بالصوم والتهجد ، وترتاح الى التأمل والتبخر ، واصبح سواء عنده
الليل والنهار ، والحلم واليقظة ، وكان يقضي ساعات طوالاً جاثياً
على ركبته في جوف الليل او مضطجعاً في عين الشمس ، واحياناً
يمشي في شعاب تلك الجبال ، وبينما كان يسير كان يسمع اصواتاً
خارجة من تلك الصخور وكانت تلك الصخور تناديه « يا رسول

الله» وبقي نحواً من تسعة أشهر على هذه الحالة الى ان ضني جسمه وصار يتخلج في مشيه ، وانتشر شعره ، وتغير نظره ومنظره فاستولى عليه الجزع وخشي ان يكون اصابه مس وتحدث الى خديجة بشأنه هذا ، وهو بادي الاضطراب ، ظاهر القلق ، كثير الفزع .

وكانت خديجة تنتظر هذه النجوى بامل ووجل ، وما كانت تقدر على تهدئة قلقه وهي نفسها في قلق عليه ، ولكن هذه المرأة كانت كأنها قد خلقت لتؤيده ، ولتسرى عنه من همومه ، وكانت فيها متانة الحلائل الفاضلات والامهات الملائى بالحنان ، فقد كان محمد اقنى منها سناً فعظفت عليه بكل ما في قلبها من الحب والرحمة وازداد حنوها عليه لانها رأتة بهذه الحالة من الضعف والهزال ، بعد ان كان ذلك الرجل القوي وذلك الزوج الحبيب ، فكيف يمكنها ان تتأخر عن تثبيت فؤاده بكل ما في طوقها من قوة وعزم .

ويصف درمنهم حديث الوحي بشيء كثير من الطرافة والاحسان والاعتدال في الاسلوب والوصف ، ويذكر تأييد خديجة لمحمد بن عبد الله لما حدثها حديث الوحي ، وكيف ان شهادة خديجة لرسول الله بصدق الحديث وتأييد الامانة وسائر مكارم الاخلاق ، وتواتر ذلك عنها ، وهي اعلم الناس به واقربهم اليه ، وكيف ان هذا في نظر الكثيرين من اوضح الدلائل على صدق محمد وامانته .

ويعرض درمنهم لجنة المسلمين بعد ان يذكر ما جاء في القرآن من وصف النعيم وما في الجنة من الاشجار والمياه الصافية والفاكهة وانهار العسل واللبن ، والخور العين فيقول : ان الناس يأخذون هذه الاوصاف على ظاهرها ، وعلماء الاسلام عدا بعض المتصوفة ، لا يفرقون بين جنة آدم والجنة التي وعد الله بها الابرار ولا يزال هذا الامر ايضاً غير موضح في المسيحية نفسها ، ولا يجب ان يؤخذ من هذا انه لا يوجد في الاسلام من يعتقد بان هذه الاوصاف انما هي رموز واشارات ، وكذلك لا يؤخذ منه ان جميع ملاذ الآخرة هي حسية ، فقد جاء في القرآن ما يفيد ان افضل النعيم هو مغفرة الله لا ثام البشر ، ثم سلام الله وصلواته على المتقين ، والوجود في الحضرة الالهية ، وقد قال محمد كما قال القديس بولس : « ان الله قد اعد لعباده مالا عين رأت ، ولا اذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر . . »

وقد اردنا بنشر هذه الفقرة ان نفضي للقاري بقول احد المسيحيين الافرنسيين في الجنة ، لان كثيراً من قومه يعيرون القرآن في الوعد الذي فيه للمتقين بالذات الحسية ، وينسون ان الخلق لا يفهمون غيرها ، وينسون ما في القرآن من الآيات الدالة على ان اعظم النعيم هو رضا الله « ورضوان من الله اكبر » وان رؤية الحق جل جلاله هي مما وعد به اهل الجنة ، وقد

ذكر المؤلف شيئاً آخر، وهو ان القرآن اذن للمسلمين في الزواج بالمسيحيات، وان هذا كما قال الشيخ محمد عبده، من علامات لاختلافه، وان في الاسلام مبادئ كثيرة قد اعتقدت بها النصرانية وابتدتها ...

والواقع ان المؤلف يحاول كثيراً وفي كثير من صفحات كتابه ان يظهر لنا انه لا اختلاف هناك بين الاسلام والمسيحية، فيذكر اعتراف القرآن بنبوة المسيح، وطهارة مريم وغير ذلك من الامور، محاولاً التآليف بين الاسلام والمسيحية الى ان يقول: «ان نفساً قوية طاهرة كنفس محمد على اتصال مع الحقائق التي احسها هذا الرجل في نفسه اثناء خلواته العظيمة في الصحراء والجلال كانت تشعر بان الديانة ليست عبارة عن تأمل مجرد وعن محاضرة ملقاة، بل هي حقيقة يراها الانسان من نفسه، وكل انسان يمثل الله تعالى كما يستطيع ويقدر، والامر المهم ان يكون مليئاً شعوراً بالحقيقة الالهية وان يسلم نفسه لله وهذا هو الاسلام»

وبأني المؤلف بعدها على الهوة التي احتفرت بين الاسلام والنصرانية، ويعترف بان السبب الاكبر فيها يعود للمسيحيين الذين كانوا يحتقرون الاسلام بلا تأمل ولا بحث، ويسرد لنا طائفة من اقوالهم، ويذكر كيف طال امد هذه البغضاء وهذه الابطال وكيف انه ما يزال منها بقية حتى يومنا هذا.

ثم قال درمنهم : ان الفتوحات الاسلامية كانت جزاءً
وفاقاً للمسيحية الشرقية التي استرسلت الى المجادلات الدينية وطلما
كان في العقاب فوائد ، فان ظهور المسلمين في الشرق اهاب
بالمسيحيين في اوروبا الى الاتحاد لانهم وجدوا انفسهم يواجهون
خطراً داهياً اذا لم يعمدوا الى اصلاح انفسهم

والواقع ان درمنهم كاتب يشكر على اعتداله ، وفي كتابه
معلومات كثيرة يجدر بالمسلمين الاطلاع عليها خصوصاً هذه
الاكاذيب التي بقي الافرنج قروناً متطاولة يروجونها في حق محمد
ابن عبدالله ، ليصرفوا انظار شعوبهم عن الاسلام ، واعتراف المؤلف
المسيحي الكاثوليكي بان المسيحية هي التي بدأت بالعداوة واضرمتها
اعتراف يدل على اعتداله ونزاهته ، ولعله كان يرى هذا غربياً
جداً من قوم يأمرهم دينهم بمحبة اعدائهم !!!

.....

وبذكر درمنهم رسول الله في منزله فيقول : « ان محمداً لم
يكن شرهاً ولا نخوراً ، ولا متعصباً ولا منقاداً للمطامع ، بل كان
حليماً رقيق القلب عظيم الانسانية واحياناً متردداً اذا لم يكن ثمة
عنده ما يعتقد حياً هلياً ، وكان بشوشاً دمث الاخلاق حسن
المعاشرة ساذج المعيشة يكتسب غرفته بيده ويصلح ثيابه ، ويخصف
نعله ، ويحلب شياهه ، ويضطجهم في ارض المسجد وينهض ويفتح

الباب لمرّة تريد ان تدخل ، ويعالج ديكاً مريضاً ، ويمسح يردته
 عرق جواده ، وبوزع الصدقات ما كان لديه مال ، ويتجنب كل
 شيء يظهر فيه بمظهر ملك دنيوي . . . وكان يمنع الناس ان يجعلوه
 سيداً ، ولم يكن عنده بلاط ولا وزراء ولا شيء من ابهة الملوك ،
 وانما كان عنده بعض اعوان يستشيرهم وبعض كتبة يكتبون له
 وخاتم من فضة منقوش عليه محمد رسول الله . . .

« وكان محمد يقضي اكثر اوقاته في الصلاة سواء في الخلوات
 وغير الخلوات وفي الوعظ وفي الشغل ، ويقضي نصيباً من وقته مع
 نسائه وكان محمد يحب الاطفال كثيراً ويلعب معهم ويترك اولاد
 بنته يركبون على ظهره حتى في الصلاة ويلعبون على المنبر وهو
 يخطب ، وكانت مرة فتاة لابسة قميصاً اصفر تلعب بين يديه وهو
 يداعبها ويمدح لها ذلك القميص ويستحسنه فهدت اصبعها الى ما بين
 منكبيه ولمست الشامة التي يقال لها خاتم النبوة ، فانتهرتها والدتها ،
 فقال لها محمد : دعها . . »

ولازم أنس خادم محمد مولاه عشر سنوات فكان يذكّر
 عجيب صبره ، ويقول انه ما وبخه ولا مرة واحدة خلال مدة خدمته
 له ، وكان حسن المعاشرة للجميع الا انه كان يحب المحافظة على
 خلواته وقد نهى القرآن عن الدخول على الرسول بدون اذن منه ،
 وعن مناداته من وراء الحجرات

وقال درمنفهم : انه لم يخلق حتى اليوم رجل اطاعه انصاره كما
اطاع العرب محمدا ، وان من معجزات محمد جمع العرب في
دائرة الاسلام ، وكانوا من اصعب الامم تذليلاً وقيادة ، واقل
الجماعات طاعة وقبولا للحكم والسلطان ..

اما نزاهة محمد الشخصية فكانت مثلاً يقتدى به
ويقول : لاجرم ان محمدا قد نهض داعياً العرب الى الدين
الوحيد اللائق بالاله الواحد ليوقظ بدينه هذا جانباً من آسيا وافريقيا
ويحطم قيود التقليد ، وبنيه فارس التي كانت نائمة في وثنيها ،
ونصرانية الشرق التي كانت ممزقة بالمجادلات الدينية ، ولا جدال
في ان الانبياء في العالم هم اشبه بالقوى الطبيعية المحسنة العظيمة التي
هي من قبيل المطر والشمس والزوابع التي تهز الارض ، ثم تملأها
خضرة ونضرة ، فيجب على الناس ان يعرفوهم بشركات اعمالهم واصدق
الشهود عليها هي الصدور الثالجة باليقين والقلوب المطمئنة ، والعزائم
الناهضة والنفوس الصابرة على البلاء والاسقام الادبية الزائلة ،
والصلوات الطاهرة الصاعدة الى السماء ، وكذلك ظهر محمدا يعرف
شيئاً من العلوم غير العلم الاعلى ، امياً طاهراً ساذج الطبيعة طليقاً من
قيود الاوهام ..

ولقد جاء محمدا في اشد الاعصر ظلمات وجهالة ، حين كانت
الديانات باجمعها قد تداعت الى الخراب من بلاد الغال (فرانسا) الى

الهند ، وكان الاضطراب شاملاً ، فتسمى محمداً وثلقب بالنبي الامي
 وكان يرى نفسه اداة للوحي ، ومبلغاً واعياً بسمع ما يلقي اليه من
 فم الشخص النوراني (الذي يشاهده) ومن هذا الصوت الذي
 يسمعه فيلقيه الى الناس ، وهذا الوحي هو الكلمة الالهية القديمة
 المحفوظة في السماء ، وانما اتخذت بالقرآن قالباً ارضياً . الى ان يقول :
 اننا نرى القرآن نازلاً بحسب الوقائع موحى به يوماً فيوماً وشيئاً
 فشيئاً وفاقاً للضرورات واصلاحه الامة ، وكانت الرسالة في نظر
 محمد اسمى من الرسول وكانت سورة واحدة من كلام الله افضل
 من النبي وعترته ، ولما كان لكل نبي معجزة كانت معجزة محمد
 القرآن . ومالا بقبل الشك اليوم ان في القرآن من سحر البيان
 مالا يوجد في كلام غيره على الاطلاق ، وان فيه من قوة التأثير
 والعمل في القلوب ، لا يبرح الى اليوم سراً مغلقاً حتى انه ليقتذف
 بالخشوع في قلب اقل الناس خشية وابعدهم عن التقوى ، وكان
 محمد يتحدى عبقرية العرب ان يأتوا بسورة من مثله ، ولم يكن
 اعجاز القرآن في مزيمته اللغوية من جهة ما يسمى اليوم بالادب ، وانما
 كان في شدة التأثير وعجز الناس عن الاتيان بمثله
 والواقع انه لم يبق ادنى شك في صدق محمد ، فان جميع حياته
 تدل على ذلك ، وانه كان معتقداً كل الاعتقاد برسالاته وبالوحي
 الذي كان يوحى اليه

وكانت عظمة محمد الحقيقية هي العظمة الآتية له من الله
 بالالهام الالهي الذي كان يقذف في روعه ، واما فيما عدا ذلك فكان
 يشعر بضعفه وعجزه ، وكان يتعبد الليل ويستغيث بالله ويسأله
 تعالى دائماً ان لا يخذله ، وقالت له زوجته ام سلمى مرة : « لماذا لا
 تفتأ تقول هذا وقد غفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر » ،
 فاجابها : كيف لا اخشى الله وقد تخلى مرة عن يونس ، وكان
 يدعو الله قائلاً : اغفر لي ذنوبي الحاضرة والماضية والظاهرة
 والباطنة وطهرني من اثم تطهير الثلج واغسل قلبي كما يغسل الثوب
 واجعل بيني وبين الاثم مسافة ما بين المشرق والمغرب ..

....

وقال درمنفهم : ان محمداً خلق آمراً ناهياً لكنه لم يكن يتقاضى
 الناس الطاعة لاوامره الا كواسطة يبلغهم اوامر الله تعالى ، وكان
 يقول : ان الامر لله وحده ، وكان ينهي الناس ان يعاملوه معاملة
 الملوك ، وقد ظن بعض من كانوا من اعدائه في البداية انه بعد
 افتتاح مكة ستقلب النبوة الى ملك زماني ، ولكنهم اخطئوا في
 زعمهم ، وبقي محمد على مشربه الاول من سداجة الحال ، وكان
 يقول : لست ملكاً ولكنني رجل من قریش ، ولم يسكره الظفر
 بل عف عند المقدرة ، ولم يكن المال ولا شيء من غنائم الدنيا
 ذا قيمة في نظره ، وكان يفضل عليها كلها اهتمام رجل واحد الى

الاسلام ، ولم يكن يؤمله غير شيء واحد كان يحده في اعماق نفسه ،
وهو عدم فهم الكثيرين للمقصود من رسالته وانضمام كثيرين اليه
لا حباً بها بل التحاقاً بالحزب الغالب
وختم درمنهم كتابه بقول الاب (دوبروغلي) في كتابه
(اسرار تاريخ الديانات) وهو : « جاء في التوراة انه من اسماعيل
يخرج شعب عظيم » فانتشار الاسلام هو من جملة ما انجز الله به
وعده لابي المؤمنين . . .



رسول الله

في نظر جماعة من المستشرقين المنصفين

يقول جيلمان الكاتب الانكليزي : بان . محمدآ كان صادقاً في دعوته ، مخاصماً في رسالته ، طاهراً في اعماله واقواله .
وقال غرويه صاحب « مدنات الشرق » « كان محمد لما قام بدعوته شاباً كريماً نجداً ملآن حماسة لكل قضية شريفة ، وكان ارفع جداً من الوسط الذي كان يعيش فيه ، وكان العرب يوم دعاهم الى الله منغمسين في الوثنية وعبادة الحجارة ، فعزم على نقلهم من تلك الوثنية الى التوحيد الخالص البحت ، وكانوا يفتنون في الفوضى وقتال بعضهم بعضاً ، فاراد ان يؤسس لهم حكومة ديموقراطية موحدة ، وكانت لهم عادات وحشية تقرب من الهمجية فاراد ان يلطف اخلاقهم ، ويهذب من خشونتهم »

وقال « مونته » الاستاذ في جامعة جنيف في كتابه (محمد والقران) « اما محمد فكان كريم الاخلاق حسن العشرة ، عذب الحديث صحيح الحكم صادق اللفظ ، وكانت الصفات الغالبة عليه صحة الحكم وصراحة اللفظ والافتناع التام بما يعمل به

ويقوله ، وان طبيعة محمد الدينية تدهش كل باحث مدقق نزيه
المقصد بما يتجلى فيها من شدة الاخلاص ، فقد كان محمد مصلحاً
دينياً ذا عقيدة راسخة ، ولم يقم - الا بعد تأمل كثير وبعد ان
بلغ سن الكمال - بدعوته الدينية العظيمة التي جعلته من اسطع
انوار الانسانية في الدين

ثم ذكر موثته اركان الاسلام كالصلاة والزكاة والصيام
والحج وقال : ان حكمة الصلاة خمس مرات في اليوم هي في ابقاء
الانسان من الصباح الى المساء تحت تأثير الدين بحيث يكون دائماً
بنجوة عن الشر ، وحكمة الصيام تعويد المؤمن غلبة شهوات الجسم
وزيادة القوة الروحية في الانسان ، وحكمة الحج توطيد الاخاء بين
المؤمنين وتمكين الوحدة العربية
وهذا هو البناء العظيم الذي وضع محمد اساسه ، وما يزال ثابتاً
برغم عواصف الدهور

وقال (غولد سبير) وهو من اكابر المستشرقين في كتابه
« عقيدة الاسلام وشريعته » : « ان دعوة النبي العربي كان فيها
نخبة مبادئ دينية اعتقدها هو بالاختلاط مع اليهود والنصارى
وغيرهم ، واقتنع بها ، وروج لها بين قومه ثقة منه انها ضرورية
لتثبيت سير الانسان وفقاً للارادة الالهية ، وقد تلقاها محمد بصدق
وامانة معتقداً كل الاعتقاد انها من الله »

وهذا القول ليس فيه ما يدعو الى الانكار ، وما جاء القرآن
 الا مصداقاً لما بين يديه من التوراة والانجيل ، والاسلام انما هو ملة
 ابراهيم حنيفاً وقد جاء رسول الله مؤيداً لهذه الملة الابراهيمية
 وقال (ماكس مايرهوف) في كتابه (العالم الاسلامي) :
 «لقد اراد بعضهم ان يروى في محمد رجلاً مصاباً بمرض عصبي ولكن
 تاريخ حياته من اوله الى آخره ليس فيه شيء يدل على هذا كما ان
 ما قام به فيما بعد من التشريع والادارة يناقض هذا القول

ويقول (غودفرواد ميو ميين) و (بلاتونوف) في (تاريخ
 العالم) وقد اشتهرا بكثرة التمحيص والتدقيق : انه لا يزال اصل
 النصرانية مجهولاً ، الى ان يقولوا : ليس من الممكن الجزم بصورة
 حقيقية لمحمد ، ولا بصورة حقيقية لاحد من كبار رجال العالم ،
 وغاية ما نقدر ان نجزم به هو تبرئة محمد من الكذب والمرض ، وانما
 كان محمد رجلاً ذا مواهب الهية عليا ، ساد بها ابناء عصره ، وهي
 رباطة الجأش ، وطهارة القلب ، وجاذبية الشماثل ، ونفوذ الكلمة
 و كان عابداً عظيماً ، وهو نظير جميع العباد العظام ، كان يجمع
 بين حرارة الاعتقاد بالرسالة التي هو مأمور بها من جانب الحق تعالى
 وبين ملكة الاعمال الدنيوية ومعرفة استخدام الوسائل اللازمة
 لنجاح تلك الرسالة

اما (ولز) الكاتب الانكليزي الشهير فبرغم خروجه عن

الحق في كثير من بحوثه عن الاسلام يقول : ان ديانة محمد كان فيها روح حقيقية من العطف والكرم والاخاء وكانت بسيطة مفهومة سائغة ، وكانت ملأى بمكارم الاخلاق ، وعلو النفس والمعالي التي يشغف بها اهل البادية

ويؤيد (هوار) مؤلف (تاريخ العرب) كلمات ولز وغيره من ان محمداً كان في الدرجة الاولى من شرف النفس ، وكان يلقب بالامين اي بالرجل الثقة المعتمد عليه الى اقصى درجة ، وانه كان المثل الاعلى في الاستقامة

واما الملحد (فولتير) الفيلسوف الفرنسي الشهير فقد قال عن (لوثير) و (كلفين) مؤسسا البروتستنتية « انهما لا يستحقان ان يكونا (خدما) لمحمد » وفولتير مفكر عظيم وكنيته هذه تدل على اكباره لمحمد كل الاكبار

....

وفي الواقع ان حادث الفتح الاسلامي الذي اتسق بمثل هذه السرعة كان شيئاً رائعاً نفحاً ليس في تاريخ العالم ما يدانيه او يماثله ، وقد ذهب بعض المؤرخين بعرضون لهذه الظاهرة بكثير من البحث والتبسط ، واما نابليون الامبراطور الفرنسي وناطقة الفن العسكري فيقول : ان العرب كانوا ذوي بصائر بالحرب ، اكثر مما يظهر للناس ، وان حروب القبائل بعضها مع بعض قد صيرتها

أمة محاربة من الدرجة الأولى ، وهذا القول وإن كان يحتاج إلى كثير من التفسير ، ولا يتعلق مع الحقيقة إلا بمقدار ، فإنه يدل دلالة واضحة على الذهول الذي يستولي حتى على عظماء الرجال حين يدرسون الفتوحات الإسلامية العجيبة ، ونابليون يوفر القسط الأعظم من الحرمة الشخصية لمحمد صلوات الله عليه ، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ويرى أنه ما انتشر الإسلام إلا بفضلهما ، ولقد بلغ من إعجابه بمحمد أنه نوى وهو في مصر أن يدين بالإسلام ، وإن يحمل عليه جيشه ، ولقد سأله عن ذلك المؤرخ (لاكاز) الذي رافقه إلى منفاه في جزيرة (سنت هيلانه) وقيد جميع ما وعاه من أحاديثه ، فاعترف له بأنه كان عازماً على الإسلام ، ولكنه لم يكن يريد أن يفعل ذلك قبل أن يصل بجيشه إلى الفرات ، بحيث يتمكن بإسلامه من الاستيلاء على الشرق

وهناك وثائق رسمية عن إسلام نابليون تعلقها المسيو (اتيان دينه) المسلم الأفرنسي ، منها وثيقة مؤرخة في ٢٦ آب ١٧٩٨ كتبها نابليون وهذا نصها « اني اشكرك على ما قمت به من تعظيم نبينا : الامضاء بونايرت » وهو يعني بذلك محمد بن عبد الله .

وهناك وثيقة أخرى مؤرخة في ٢٨ آب ١٧٩٨ ونصها : « اني ارجو ان لا يطول الوقت حتى اجمع جميع عقلاء البلاد ومهذبيها ، واقرر معهم نظام الحكم مبنياً على مبادئ القرآن

التي هي وحدها المادي ، الحقيقة ، والتي هي وحدها الكفيلة
بسعادة البشر ، الامضاء : بونايرت »

وقال نابليون في مناسبة اخرى بكتاب ارسله الى احدى
والمظنون ان المرسل اليه هو احد كبار المسلمين في مصر ما يلي :
« حقاً لقد قلت لكم مراراً واعلنت مراراً في خطبي اني انا مسلم
موحد اعبد النبي محمداً واجد المسلمين . الامضاء : بونايرت »

والذي يعلم تاريخ نابليون يفهم ان رجلاً كهذا اوتي من
القدرة العقلية ومن العزيمة اقصى ما قدر لابطال العالم ، لا يعجب
بالاسلام هذا الاعجاب كله ، الا بعد اقتناعه بان هذه الفتوحات
المادية والمعنوية التي قام بها الاسلام في ذلك الوقت القصير ،
كان حادثاً غير مسبوقاً حد النظر في تاريخ العالم ، وبان فضائل
الاسلام ونبهه كانت من القوة والظهور بحيث لا يستطيع
احد انكارها

....

وقال دو كا ستري نقلاً عن الكاتب (ريفيل) : اننا اذا
نظرنا الى الزمان والمكان اللذين وجد فيهما محمد لم نجد اصلاحاً
اشرف ولا اجراً من الاصلاح الذي قام به بحق النساء ، فالمرأة
في الشرق مديونة كثيراً لمحمد .
واما البرنس كيتاني الابيطالي فيقول ان محمداً من افراد

العالم ذوي العقربة الرائعة والفكر الحر ، وقد افضى الى الانسانية
بخدمة ليس من يستطيع انكارها ابداً

ويقول مرغوليوث الانكليزي : ان الاسلام دين قد اوحى
الى العرب بطراز من التفكير الحر ، وافضى اليهم بكثير من التراث
الديموقراطي الزعيم المانع

وقال الكاتب الافرنسي (ديسون) الذي نشر خلاصة
كتابه في ما يلي من فصول :

« من الخطأ ان يصدق المرء ما يروج له البعض من ان السيف
كان المبشر الاول من تقدم الاسلام وتبسطه ، ذلك ان السبب
الاول في انتشار الاسلام يعود الى هذه الاخوة الدينية الفريدة ،
والى هذه الحياة الجديدة الاجتماعية التي دعا اليها ومكن لها ،
والى هذا الايمان القوي الذي راح يدفع المسلم غازياً فاتحاً من
اقصى الارض الى اقصاها ، ثم الى هذه الحياة الشريفة الطاهرة
التي راح يحياها محمد وخلفاؤه من بعده والتي بلغت من العفة
والنضحية حداً جعل من الاسلام قوة عظيمة لا تغلب

وما زال الاسلام يتقدم غازياً فاتحاً في كل موطن يحتاج الى
الفتح والغزو ، وكلما تقدم تنهار امامه الديانات القومية ، وهو في
تقدمه هذا العجيب لا يرتد عن ارض راح يفتحها ويغزوها بعقائده
ونقائده وبساطة تعاليمه ، وهذا امر يعرفه المبشرون الذين حاولوا

غير مرة ان يحملوا بعض القبائل التي تقبلت الاسلام على قبول
 المسيحية ، فكانوا دائماً يرتدون فشلين منكسرين ، وما يجب ان
 يذكر ان كثيراً من القبائل التي راحت تقبل ^{عليها} المسيحية أولاً ،
 نثر كها وتقبل الاسلام دينا حين اتصل بالمسلمين ، وليس يذكر
 التاريخ المعاصر ابداً ان قبيلة مسلمة ابدلت دينها واعتنقت ديناً غيره
 خصوصاً والاسلام يحمل اليها دينا رائعا وحياة اجتماعية اخلاقية
 رفيعة

وليس يصح ان ينظر الى دين محمد كدين ملي بالخرافات
 والاكاذيب ، فهذا مخالف للحقيقة بعيد عن الواقع فالتعاليم الاسلامية
 شريفة سامية ، والاخلاق رفيعة عالية ، وفي الاسلام من العقائد
 والآراء ما يستحق احترام الفلاسفة وعلماء الاجتماع .



ولد النبي ونسأته

ولد محمد (عليه السلام) في مكة سنة سبعين وخمسمائة بعد الميلاد وبعد وفاة والده عبد الله بشهرين ، وكانت الليلة التي وضعته أمه فيها عجيبة حقاً ، فقد أسرع إلى مواساتها عند الوضع نساء بني هاشم ، فقضين معها الليل كله ، وشهدن فيها ما أعجبهن وادهشهن ولم تكن والدته النبي أقل صويحباتها أكباراً ودهشة ، وأعجاباً وانكاراً ، فقد كانت ترى في ما يرى النائم أن نوراً خرج منها فاضاً قصور بصرى من مشارف الشام ، ثم راح يسوي الأرض أمامها ويضيئ لها ما حول الشام من مواطن وامصار ، وإذا بالسما غير السماء والأرض غير الأرض ، وإذا بهما مليئتان بالنور مشرقتان مضيئتان ، وإذا بنجوم السماء تدنو من الأرض حتى لكانها تريد أن تلم بها ، وتجلس على أديمها .

ويشب الفتى ، وإن للسما فيه لرأياً ، فيظل في سحجر آمنة أمه ما يشاء الله أن يظل ، حتى تصدر المراضع عن البادية ، وتمشي إلى

مكة ، يطلبن من فتيانها من يتولين تربيته والعناية بأمره ، كما هي
 العادة عند العرب ، وكانت بينهن حليلة بنت ابي ذؤيب السعدية
 خرجت على ائنانها تقصد مكة تلتبس الرضعاء كصويحباتها ،
 فيعرض عليهن محمد فتأباه كل واحدة منهن ، اذا قيل له انه يتيم ، ذلك
 انهن لما كن يرجون المعروف من والد الصبي ، فاذا كان الصبي
 يتيماً فلا فائدة من هذا المعروف ، ولا امل في شيء من الوفر
 والمال .

وترى حليلة نفسها دون ما رضيع ، وقد حملت كل واحدة
 من صويحباتها واحداً ، فتعود ادراجها الى اليتيم تأخذه ، لئلا
 يقال انها تعود وليس عندها ما توفر لسواها ، وقد كانت
 حليلة وزوجها في شظف من العيش كثير ، وفي وابل من
 الفقر وفير .

ويشب الفتى في موطنه الجديدة في البادية ، فتغمر البركة
 مرضعته ، ويستفيض الخير في ما لديها من شاء وابل ، ثم يعود الى امه
 فلا تستقيم معه حتى توفي في الابواء وهي قرية بين مكة والمدبنة ،
 فيتولاه جده عبد المطلب بعنايته وعطفه ، فاذا انتقل هذا الى ربه
 شمله عمه ابو طالب بمثل ما يشمل به ولده من حنان وعطف وبر
 ومعروف .

ويذهب اليتيم مع عمه الى الشام في تجارة له ، فاذا اصبح فتى

فشأ بين قومه صدق حديثه وعظم امانته وكرم خلقه ، فتعلم بامره خديجة بنت خويلد وهي من سيدات قريش ، فتعرض عليه ان يخرج في مال لها الى الشام تاجراً ، وتعطيه افضل ما كانت تعطي غيره من التجار ، فيتقبل محمد ذلك ويذهب في تجارتها الى الشام ثم يكر راجعاً الى مكة ، وقد وفق في تجارتها هذه كل التوفيق .

وتبر خديجة وبلغها الشئ الكثير عن محمد واخلقه واستقامته فتعرض عليه نفسها ، وكانت خديجة يومئذ اوسط نساء قريش واعظمهن شرفاً واكثرهن مالا ، وكان كل رجل من قومها حريصاً على زواجها لو بقدر عليه ، وتقبل به ، فلما تحدثت الى محمد بعزمها ذكر ذلك لاعمامه فخرج معه عمه حمزة بن عبد المطلب حتى دخل على خويلد بن اسد فخطبها اليه فتزوجها ، واصدقها محمد عشرين بكرة ، وكانت اول امرأة تزوجها ولم يتزوج عليها غيرها في حياتها

وتمضي السنون وليس في حياة محمد ما يستحق ذكراً او يستلفت نظراً ، فقد كانت سنين هادئة ناعمة لا يضطرب فيها حديث ولا حادث ، يمضي فيها محمد وقته وما بين حاشيتي نهاره اما في تجارة لزوجها او في حوار وحديث مع رجال مكة في عهده ، ويذهب المسيو ديسون الى ان بعض المؤرخين يذكرون عن

محمد في ما يذكره أنه كان كارهاً للاصنام ، بعيداً عن عبادتها
 والتقرب منها ، وإن كان لا يعلم أنه سينشيء في مقبلات الاعوام
 ديناً يبدل الارض غير الارض ، ويحدث في العالم ظاهرة جديدة لا
 تزال آثارها بعيدة المدى ، عظيمة الخطورة والمصاير

فلما بلغ الاربعين من عمره راح يخلو بنفسه اياماً ، ولم يكن
 شيء أحب اليه من ان يخلو وحده بنفسه ، وكانت له عادة ان
 يخرج لغار حراء وهو جبل على مقربة من مكة ، ينصرف فيه لنفسه
 ويتعبد فيه وحده ، فلما كانت السنة الاربعين جاء الى خديجة زوجه
 من خلوته هذه مضطرباً قلقاً وقال لها :

— لقد جائني جبريل الملك هذا الليل فقال لي : اقرأ ؟
 فقلت ما انا بقاريء ، فكرر علي ذلك ثلاثاً ثم قال لي في الثالثة :

« اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ »

وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم »

فقلت خديجة : ابشر يا ابن العم واثبت فوالذي نفس خديجة

بيده اني لارجو ان تكون نبي هذه الامة

ثم قامت فجمعت عليها ثيابها وانطلقت الى ورقة بن نوفل بن

اسد بن عبد العزى بن قصي وهو ابن عمها ، وكان ورقة قد تنصر

وقرأ الكتاب وسمع من اهل التوراة والانجيل ، فاخبرته بما اخبرها

به محمد انه رأى وسمع

فقال ورقة : والذی نفس ورقة بيده ائن كنت صدقتني
يا خديجة لقد جاء الناموس الاكبر الذي كان يأتي موسى وانه لني
هذه الامة ، فقولي له فليثبت

فرجعت خديجة الى محمد فاخبرته بقول ورقة ، فاطأ ابن
وراح يطوف بالكعبة سبع مرات ، ومنذ ذلك الوقت لم يعد
ينقطع عنه الوحي ابداً

ولقد حدث مرة ان فتر الوحي عنه فترة فشق ذلك على النبي
واحزنه فجاءه جبريل بسورة يقسم له فيها ربه وهو الذي اكرمه
بما اكرمه به ما ودعه ربه وما قلاه .

قال تعالى : « والضحي والليل اذا سجي ، ما ودعك ربك وما
قلى ، وللاخرة خير لك من الاولى ، ولسوف يعطيك ربك فترضى
ألم يجدك يتيماً فاوى ، ووجدك ضالاً فهدى ، ووجدك عائلاً
فاغنى ، فاما اليتيم فلا تقهر . واما السائل فلا تنهر ، واما بنعمة
ربك فحدث »

ومضت اعوام ثلاثة ومحمد يدعو فيها من يأمنهم من قومه ،
ويستخلصهم من عشيرته الاقربين الى الاسلام فلم يتقبل دعوته الا
اقلهم ، ثم امره الله باظهار دعوته ففعل ، فكان يلاقي الذين اسلموا
من قريش عناء كثيراً وشرّاً وبيلاً

ووثبت كل قبيلة فيها على من فيهم من المسلمين
يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم ، وامتنع النبي عنهم بعهه ابي طالب
وآل هاشم ، وكان جواب النبي على هذه المظالم والعناء والايذاء
ينزل به من قومه ، الصبر الجميل والجواب اللطيف الرقيق ، فلما
توفيت خديجة وابو طالب زاد ايذاء قومه له ولاصحابه بعد ان هلك
من كان يدفعهم عنه ، ويردهم عن ايذائه

وكان قوم من المدينة قد استمعوا الى النبي بعرض عليهم
الاسلام لما قدموا مكة للتجارة وغيرها من الشؤون ، فيقبلونه منه
ديناً ويذهبون الى المدينة ينشرونه فيها ، ويدعونه بين قومهم
ورجالاتهم ، فلما احس النبي ازدياد البلاء عليه وعلى المسلمين ، وعلم
ان مكة قد اعتزمت قتله وتثريد قومه ، رأى راحة بالمستضعفين
من المسلمين ان يغادرها الى المدينة ، حيث كانت له عصبة تحميه
وتعصمه ، فتقبله اهل المدينة من المسلمين بالترحاب والتهاف
والاهازيج

وبهجرة النبي الى المدينة ، ينتقل الاسلام من دين مستضعف
الى دين تؤيده عصبة قوية ، وتحميه سيوف ماضية وقلوب جريئة
وافئدة يغمرها الحماس تريد ان يعلو هذا الدين الجزيرة كلها ، وان
يلم هذا الخير العرب كلهم من اقصى الجزيرة الى اقصاها ، لقد

كان رجالات المدينة فرقاً واحزاباً ، فوحد الاسلام بينهم ، وافر
العدل في ربوعهم والانصاف في مواطنهم ، فلم لا يتوفر هذا الخير
على الجزيرة كلها ولم لا يبالها مثل ما نالهم ، فتصبح الجزيرة قوة
ويصبح العرب شيئاً خطيراً

ولقد كان حتماً على النبي بعد نزوله الى المدينة وتأيد سكانها
له ان يناصب اهل مكة جماعة المسلمين العداء الذين اخرجوهم من
ديارهم وآذوهم في دينهم ، وان تشتد هذه الخصومة حتى تتصل منها
الى السيف الذي يخرج من غمده في عدة معارك وغزوات اصبح
النبي معها على مثل اليقين من ان العرب جميعها ان تطمئن الى دعوته
وتؤيده الا ان يدخل مكة فاتحاً ، وهي كعبة العرب ، وسيدة
مدن الجزيرة

ولقد راع اهل مكة وبهرهم ما شاهدوه من منزلة النبي بين
صحبه وانصاره لما مشى المسلمون الى مكة يريدون العمرة فابى
عليهم اهلها فكروا راجعين ، اقول شد ما راعهم وبهرهم اكرام
المسلمين لنبهم واحترامهم له ، فراحوا يقولون هذا اكرام واحترام
لم يظفر بها كسرى ولا قيصر ، لقد كان النبي اذا راح بتوضاً لا
يدع المسلمون قطرة من الماء تسقط الى الارض ، يتناولونها بايديهم
وانفسهم ثم مسحون بها وجوههم تبركاً واحتراماً ، وهو شيء جديد
لا عهد للعرب بمثله في هذه الجزيرة التي كان الفرد الواحد منها سيد

قومه ورأس عشرينه ، فاصبحوا بنعمة الله اخواناً يؤمنون بالله
ويرفعون رأساً الى السماء مانعوا الا لعظمة الله جل جلاله ، ورسوله
هذا النبي العربي الذي اعزهم بعد ذل واغناهم بعد فقر ، وخلق في
روحهم وانفسهم شيئاً جديداً فيه روعة وجدة وخيال ، وفيه
سلطان كبير

لقد اضطر محمد الى السيف قسراً ، ولو تركه العرب وشأنه
لفضل البرهان يقرع به اسماعهم صباح مساء بان الله واحد ، وان
محمداً رسوله ، ولكن العرب راحت تؤذيه وتؤذي اصحابه ان
يقولوا ان الله ربنا وربكم

واذن فلا بد لمحمد وانصاره ان ارادوا نشر اسم الله وذبوع هذا
الدين الجديد ، ان يدفعوا العدوان بثقله ، وكذلك اضطر محمد الى
السيف يقتحم به مواطن الكفر والبهتان ، ويدفع به عدوان
قومه وايداء الاعراب في الجاهلية ، فان مكن الله له في النصر تقبله
حامداً شاكراً ، وان ناله فشل حمد واثني ، وشدد من عزائم اصحابه
وبعث في روحهم الجرأة والامل ، بانهم واصلون الى اغراضهم ولو
كره الكافرون

ويمكن الله لمحمد من اقتحام مكة فيدخلها على رأس عشرة
آلاف من المسلمين فلا يعرض لاهلها الذين آذوه واصحابه بسوء
ولا يأمر رجاله بالفتك بهم ويغرق في الحلم اغراقاً لم تشهد العرب

مثله في الجاهلية ولا بعد الاسلام ، فيعاملهم بالحسنى ، ويزيدهم بسطة في العطاء ويفضلهم في العطاء حتى على الانصار والمهاجرين من رجاله وانصاره الاولين ، والحديث عن حلمه وجوده وعفوه عند المقدرة اكثر من ان نأتي عليه وحسبك صبره على قريش كما قدمنا ومصابرته الشدائد الصعبة معهم ، فلما اظفروه الله عليهم وحكمه فيهم عفا عنهم وقال: انتم الطلقاء

وبيعث بعد ذلك محمد بكتبه الى ملوك عصره ، وبصل كتابه الى كسرى عظيم الفرس فيمزقه ، وهو لا يدري انه بتزيقه كتاب النبي قد مزق ملكه يده ، وان العرب مقتحمون ارضه وامصاره وان امبراطوريته صائرة بعد سنوات قريبة الى الزوال والانهيار تحكم شيعة محمد بالامر فيها ، ويستقيم لهذا الدين سخطانه بين امصارها وانها قد لا تكون بعد اليوم وفي عهد الامبراطورية العربية المقبلة غير مصر من الامصار العديدة التي يسيطر عليها خليفة المسلمين من مثل المدينة او الشام او بغداد

وتنتهي حياة النبي (عليه السلام) بعد عودته من حجة الوداع ، وقد احس بعدها بالمرض ينتابه في فترات ، ثم اشتدت وطأته عليه فحبس نفسه في منزله ثم في غرفة لعائشة زوجته وهو يشكر الله ان ارسله للعالمين رسولا فاتبعته معظم الجزيرة العربية ،

وبلغ الدعوة الى اكثر ملوك الارض ، ذلك ان الاسلام لم
يكن ديناً للعرب ، وانما هو دين الانسانية من اقصى الارض الى
اقصاها

ولقد راح الكتاب المسلمون بصفون النبي (عليه السلام)
فما تركوا ناحية من صفاته واخلاقه الا عرضوا لها واثاروا اليها ،
وليس في وصفهم هذا للنبي شيء يتصل بالمعجزات ، ولا بما هو
فوق الطبيعة ، كان محمد ممتازاً بجمال خلقه واخلاقه ، وقد كان
بعض الذين يدعونه الى الاسلام لا يحتاجون الى دليل على صدقه
فوق ما هو معروف عندهم من اخلاقه السابقة وصدقه المتواتر
عند الجميع في مكة وغير مكة . لقد كان واحدهم اذا اراد ان
يأتمن احداً على مال او غيره ، فلا يرى غير محمد خليفاً بمثل هذه
الامانة ، وذلك قبل الاسلام وبعده ، وقد كانت زوجته خديجة
تعرف فيه ذلك وليس اعلم من الزوجة بزوجها ، فلما جاءها
بخبير الوحي ، مضطرباً خائفاً وجلاً لاول عهده به قالت له :
- ما كان الله ليخزيك ابداً انك تحمل الكل ، ونكسب

المعدوم وتعين على نوائب الحق

وكان نظيفاً ومن اكثر الناس حياءً واكثرهم عند العورات
اغضاء ، كان اشد حياءً من العذراء في خدرها ، وكان اذا كره
شيئاً عرفه اصحابه في وجهه ، لطيف البشرة رقيق الظاهر ، لا يشافه

أحداً بما يكره حياءً وكرم نفس

وكان من أوسع الناس صدرًا وأصدقهم لهجة والبنهم عريكة
واكرمهم عشرة ، وكان يؤلف الناس ولا ينفهم ويكرم كريم
كل قوم ويؤليه عليهم ، ويحذر الناس ويحترس منهم ، يتفقد أصحابه
ويعطي كلاماً من جلسائه نصيبه لا يحسب جلساه أن أحداً أكرم عليه
منه ، ومن جالسه أو قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف
عنه ، ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو يمسور من القول ، وسع
الناس بسعة صدره وخلقه ، فصار لهم آباءً وصاروا عنده في الحق سواء
دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب
ولا عياب ولا مداح ، يتغافل عما لا يشتهي ، ولا يؤيس
منه . يحجب من دعاه ويقبل الهدية وبكافي عليها . قال انس خادمه
خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين سنة فما قال لي
أف قط . . . وما قال لشيء صنعته لم صنعته ؟ ولا لشيء تركته
لم تركته ؟

وكان يمازح أصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويحبب دعوة الحر
والعبد والامة والمسكين ويعود المرضى في أقصى المدينة ويقبل عذر
المعتذر وكان يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ أصحابه بالمصافحة بكرم
من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه أو أثره بالوسادة التي تحته ويعزم
عليه في الجلوس عليها إن أبى

كان اكثر الناس تبساً واطيبهم نفساً . . . ولما قدم عليه
وفد النجاشي قام عليه السلام بنفسه يخدمهم
فقال له اصحابه : نحن نكفيك . .
فقال لهم : كانوا الاصحابنا مكرمين واني احب ان اكون
وكان من اشد الناس تواضعاً وقلهم كبراً ، يعود المساكين
ويجالس الفقراء بجيب دعوة العبد ، ويجلس بين اصحابه مختلطاً بهم
حيث انتهى به المجلس جلس

يقول الكاتب الافرنسي ديسون : ان محمداً كان كثير
الزوجات ولكنه لم يكن في ذلك اكثر من نبي الله سليمان ، الذي
عددت التوراة خير زوجاته وهن اكثر
وكان هذا الرجل الذي اسس هذا الدين العظيم الخطورة لا
يدعي المعجزات ، حتى انه كان ليذهب الى اقصى من ذلك فينكر
بعض الحوادث التي ارتبطت بمعجزة او ما يتصل بذلك ويردها الى
اصلها وحالها ، ونضرب على ذلك الامثال نروج فيها لما ذهبنا اليه
وذهب اليه المسيو ديسون من عدم ادعاء النبي المعجزات . .
لما ولد للنبي ابراهيم دفعه لام بردة خولة بنت المنذر لترضعه ،
واعطاها قطعة نخل فكانت ترضعه في بني مازن وترجع به الى
المدينة ، فكان النبي ينطلق اليها فيدخل البيت وياخذ الغلام الصغير

يقبله ويشمه ثم يرجع

ولما احتضر الفتى وجاء النبي وجده في حجر امه فاخذه
عليه السلام في حجره وقال : يا ابراهيم انا لن نغني عنك من
الله شيئاً .

ثم ذرفت عيناه عليه السلام وقال : انا بك يا ابراهيم
لمحزونون ، تبكي العين ، ويحزن القلب ، ولا نقول ما يسخط
الرب .

ووقف محمد صلى الله عليه وسلم على قبر ابراهيم بعد ان رش
قبره بماء ، و اشار اليه بعلامة وقال :

« يا بني ان القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب
انا لله وانا اليه راجعون ، يا بني ، قل الله ربي ، والاسلام ديني ،
ورسول الله ابي »

وبكت الصحابة ومنهم عمر حتى ارتفع صوته بالبكاء . فالتفت
اليه النبي قائلاً : ما يسكيك يا عمر ؟

قال : يا رسول الله هذا ولدك وما بلغ الحلم ، ولا جرى عليه
القلم ويحتاج الى تلقين مثلك بلفظه التوحيد في مثل هذا الوقت
فما حال عمر وقد بلغ الحلم وجرى عليه القلم وليس له ملقن
مثلك !!

ونزلت الآية : « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في

الحياة الدنيا والآخرة « فطابت الانفس وسكنت القلوب
وشكروا الله

وكسفت الشمس في ذلك اليوم ، فقال قائل من المسلمين
لقد كسفت لموت ابراهيم

ولو كان محمد كاذباً في نبوته وغير صادق في رسالته لترك
هذه الكلمة تسير سبيلها بين الناس تؤيد نبوته ، وتعزز مكنته ،
ولكنه ابى غير الحق ، وابي ان تصدر كلمة كهذه مليئة بالباطل ،
مغمورة بالافك والبهتان فقال في حديث صحيح :

« ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله يخوف الله بهما عباده
فلا ينكسفان لموت احد ولا لحياته »

ولما كتب النبي كتاباً لقيصر يدعوه فيه للاسلام ، ارسل
قيصر رأس شرطته يبحث له في بيت المقدس عن بعض رجال العرب
الذين يقصدونها للتجارة وغير التجارة يسألهم عن هذا النبي الجديد
وكان ابو سفيان قبل ان يؤمن بالاسلام في بيت المقدس
فحدث قائلاً :

— اتانا رسول قيصر فانطلق بنا حتى قدمنا اليه فاذا هو جالس
وعليه التاج وعظماء الروم حوله ، فقال لترجمانه : سلهم ايهم اقرب
نسباً لهذا الرجل الذي يزعم انه نبي

فقال ابو سفيان : انا اقربهم نسباً اليه . . . ذلك انه لم يكن
 في الركب يومئذ من بني عبد مناف غيره ، لان عبد مناف هو
 الاب الرابع لبني عبد مناف وكذلك لابي سفيان
 فسألني قيصر ما قرابتك منه ؟
 قلت : هو ابن عمي . . .
 فقال قيصر : ادن مني

ثم امر باصحابي فجعلوا خلف ظهري ، ثم قال لترجمانه :
 - قل لاصحابه انما قدمت هذا امامكم لاسأله عن هذا الرجل
 الذي يدعي انه نبي ، وانما جعلتكم خلف ظهره لتردوا عليه كذباً
 ان قوله

قال ابو سفيان : فوالله لولا الحياء يومئذ ان يردوا علي كذباً
 لكذبت ، ولكنني استحييت فصدقته وانا كاره
 ثم قال قيصر لترجمانه : قل له كيف نسب هذا الرجل
 فيكم ؟

قلت : هو منا ذو نسب
 - وهل قال هذا اقول احد قبله ؟
 قلت : لا

- وهل كنتم تتهمونونه بالكذب على الناس قبل ان يقول
 ما قال ؟

قلت : لا

- وهل كان من آباءه ملك ؟

قلت : لا

- وكيف عقله ورأيه ؟

قلت لم نعب عليه عقلاً ولا رأياً قط

قال : فاشراف الناس يتبعونه ام ضعفاؤهم

قلت : بل ضعفاؤهم

ذلك ان اكثر من تبع النبي كان من الضعفاء واشراف القوم

الذين تبعوه كابي بكر وعمر وغيرهما قليل

قال : هل يزدون او ينقصون ؟

قلت : بل يزدون

قال : فهل يروند احد منهم عن دينه

قلت : لا

قال : فهل يغدر اذا عاهد

قلت : لا ونحن الان منه في ذمة لا ندري ما هو فاعل فيها

قال : فهل قاتلتموه

قلت : نعم

قال : وكيف حربكم وحربه

قلت : دول وسجال ، ندال عليه مرة كما في أحد ، ويدال

علينا اخرى كما في بدر

قال : فما يأمركم به ؟

قلت : يأمرنا ان نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئاً وبينها
عما كان يعبد ابائنا ، ويأمرنا بالصلاة والصدقة وبالوفاء بالعهد
وإداء الامانة

وبعد فهذا رأي ابي سفيان في الاسلام والنبي يوم ، كان في
خصومته المعروفة مع النبي وصحبه ، ونترك للمؤلف المسيوديسون
ان يختم فصله هذا في النبي عليه السلام قائلاً :

وليس يزعم احد اليوم ان محمداً قد راح يزور ديناً ، وانه
كاذب في دعواه افك في دعوته

وقد اشار الى شيء من هذا الكاتب الانكليزي المعروف
كارليل ، ونختم نحن بدورنا فصلنا هذا برأيتين في الاسلام لكتابين
معاصرين من المسيحيين لا نستطيع ان نتمهما بالعطف على الاسلام
والمسلمين

قال المسيو برتلمي سانت هيليار :

«لقد كان محمد اذ كى العرب في عهده واكثرهم تقوى ودينياً
وارحهم صدرأ وارفعهم باعدائه وخصوم دينه ، وما استقامت

امبراطوريته ٠٠٠ الا بسبب تفوقه على رجال عصره ، واما الدين
الذي راح يدعو اليه فقد كان خيراً عظيماً على الشعوب التي اعتنقته
وآمنت به»

وقال زويمر المبشر الانكليزي المشهور :

« ان عبقرية محمد هي السبب في نجاحه واستطارة شأنه »
يضاف الى هذا كله معرفته العظيمة بالديانات في عصره ، وقوته في
الاقناع ، وحماسه الذي غمر اصحابه ، وامتد منه الى انصاره ، وقوته
في اجتذاب القلوب اليه ، ومقدرته في الادارة والحرب ولباقته
السياسية الفائقة»

وليس يعرف التاريخ صبيّاً تأثر بحياة الطفولة والصبا واحتفظ
بجواده وذكرياته ما اقام في هذه الدنيا ووفى للذين يروا به واحسنوا
اليه كمحمد بن عبد الله ، لم يكذب بقدر على البر واسداء المعروف
واظهار شكره للنعمة واعترافه بالجميل حتى ضرب للناس في ذلك
اروع الامثال وبلغها تأثيراً في القلوب

ارضعت امة لابي لب يقال لها (ثوبية) اياماً قبل ان تأخذه
حليمة ، فلما علم ذلك من امرها حفظ لها هذه النعمة ، وعرف لها
هذا الجليل ، فلم يكذب بقدر على شكرها والبر بها حتى جهد في
ذلك ، واذا به يحمل زوجه خديجة على ان تسعي عند ابي لب في ان

تشتري منه هذه الامة لتعتقها ، فيأبى ابو لهب فيتصل معروف
 الرضيع بامه هذه ما اقام بمكة ، حتى اذا هاجر الى المدينة لم ينس
 امه ولم يهملها ، وانما ارسل اليها الصلات والكسوة من حين الى حين
 حتى اذا عاد من غزوة خيبر وقيل له : ان (ثوية) قد ماتت سأل
 عن قرابتها ليصلح بها ، كان يصلها به من معروف فأتى بانها لم
 تترك احداً

وحياة اهل البادية مليئة بالضنك مغمورة بالشقاء ، فانظر الى
 حليلة تهبط الى مكة تستعين بابنها على اثقال الحياة ، فيكلم لها
 خديجة فتمنحها بعيداً ، واربعين شاة ، وانظر اليها تستأذن عليه
 مرة اخرى فاذا ادخلت عليه وراها قال : امي !! امي !!

ثم بسط رداءه فاجلسها عليه ، ثم ادخل يده من دون ثيابها
 فمس صدرها مساً ثم قضى حاجتها

ثم انظر اليه عند ما عظم وارتفع شأنه ودانت له العرب كلها
 وقد نصره الله يوم حنين على هوازن ، فهزم الجند واحتوس المال
 وسبي الذرية والنساء ، وقسم الغنائم بين المسلمين ، وانه (بالجرانة)
 صباح يوم - وهو موضع بين مكة والطائف - واذا وفد من
 هوازن يقبل عليه مسلماً منبئاً باسلام من وراءه من الناس ،
 وفي هذا الوفد عمه من الرضاعة ، واذا عمه هذا يتحدث اليه
 فيقول :

— يارسول الله ، ان في هذه الحظائر من كان بكفلك من
 عماتك وخالاتك وحواضنك ، وقد حضنك في حجورنا وارضعناك
 بشدينا ، ولقد رأيتك مرضعاً فما رأيت مرضعاً خيراً منك ، ورأيتك
 فطيماً ، فما رأيت فطيماً خيراً منك ، ثم رأيتك شاباً فما رأيت شاباً
 خيراً منك ، وقد تكاملت فيك خلال الخير ونحن مع ذلك من
 اصلك وعشيرتك فامنن علينا من الله عليك

فيحييه النبي : لقد استأنيت بكم حتى ظننت انكم لاتقدمون
 وقد قسمت السبي وجرت فيه السهمان ، فما كان منه لي ولبني عبد
 المطلب فهو لكم واسأل لكم الناس ، فاذا صليت بالناس الظهر
 فقولوا : نستشفع برسول الله الى المسلمين ، وبالمسلمين الى رسول الله
 فاني ساقول لكم : ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم وساطلب
 لكم الى الناس

فلما صلى الظهر قام الوفد فاتم ما امر به ، ووفى النبي لهم بوعده
 وشفع لهم عند الناس ، فردت عليهم نسائهم وابنائهم لم ياب ذلك
 الا نفر من الاعراب اشترى منهم ما كان في ايديهم من السبي
 وردده على اهلهم

هذا وفاء ببلغ الاثر في النفوس ، وابلغ منه هذه الطريقة الطاهرة
 البريئة في استخلاص السبي من الذين ملكوه ، فيها وفاء ، وفيها
 رد للحرية على آلاف من الناس ، وفيها اقرار للامن والسلم في قبيلة

ضخمة قوية من العرب ، وفيها تخلص القلوب من الضغينة والموجدة
والحق ، وتهيئتها لقبول الاسلام والنصح للمسلمين في صدق
واخلاص

ثم ان للرسول وفاء آخر يملأ القلوب رحمة ويمزقها لوعة واسى
لانه وفاء المحب الصادق في الحب العاجز عن النفع الذي لا يملك لمن
يحب خيراً ، ذلك ان لله قدراً مهما نعظم القلوب فلن نغيره وتبدله
لقد كان محمد اشد الناس برأ بامه ووفاء لعمه ، مر بقبر امه عام
الحديبية فاستأذن ربه في ان يزور القبر ، فاذن له فزاره واصلحه
ومكث عنده حيناً ، ثم استأذن ربه في ان يستغفر لامه فابى عليه ،
فانصرف عن القبر باكياً كثيراً ، وبكى المسلمون لبكائه ، واكتأب
المسلمون لاكتأبه

ودخل مكة عام الفتح ظافراً منتصراً ، وبينما هو في بعض
مواضعها رأى اصل قبر فمطف عليه واقام عنده ، واستأذن في
الاستغفار لصاحب القبر فلم يؤذن له ، فانصرف محزوناً كثيراً وبكى
فبكى المسلمون ، وما رأى الناس يوماً اكثر باكياً من ذلك اليوم
واختلط امر هذا القبر على الرواة فذهب قوم الى انه قبر جده ، وقال
آخرون انه قبر عمه ابي طالب ، وعرض محمد الاسلام على عمه ،
والح عليه ، وكاد الرجل يقبل لولا حمية الجاهلية ، فلما مات قال محمد :
لاستغفرن لك . . فلما قرأ القرآن في ذلك لوماً عنيماً

تبارك الله ، رجل يخرج الله به أمة كاملة من الظلمات الى النور
ويفتح له ابواب الخير على مصاريعها الى آخر الدهر ، ثم يأبى الله عليه
ان يستغفر لاهله وعمره ، وان ينقذ اهله الاقربين الذين أدوه الى الناس
وجمّوه حتى ادى الامانة ، وبلغ الرسالة
ولكن ذلك هو العدل الالهي محتوم لا يقبل اخذاً ولا رداً ،
ولا تجوز عليه المصانعة ولا المحاباة « وما كان للنبي والذين آمنوا ان
يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم
اصحاب الجحيم » والله سبحانه وتعالى « لا يغفر ان يشرك به ، ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء »



وثبة الاسلام

لما انتقل النبي الى الرفيق الاعلى كان الاسلام يغمر الجزيرة العربية كلها على وجه التقريب ، فلا يمضي قرن واحد حتى يقتحم هذا الدين العالم من اقصاه الى اقصاه ويمتد من اسبانيا الى الهند ، وهذا حدث بصح ان يقال انه الوحيد من نوعه في تاريخ الحضارة الحاضرة

ولقد راح بعضهم يفسرون سرعة انتشار الاسلام هذه ، بما التي في روعهم من ان السيف سيبه ، وان هذه الجماعات المختلفة العدد المضطربة الانظمة والتقاليد والعادات قد راحت تتقبله ديناً بقوة السيف والحرب

ولئن كان هذا حقاً فانه ليس بمقل من خطورة هذا الحدث الغريب ، ولا هو بمضعف من قوة الاسلام وسرعة انتشاره ، ولكن المعلوم ان ما تتقبله جماعة من الجماعات بالسيف ليس بدوم طويلاً واذا نظرنا الى الجماعات التي اعتنقت الاسلام ديناً ، وصرفنا النظر عن اسبانيا التي محق فيها الاسلام بقوة السيف والعسف والاضطهاد

نرى أن الامم التي اعتنقت الاسلام ايام الفتح الاسلامي، ومنذ ألف
وما بقي سنة مثلاً لا تزال تدين به وتدافع عنه ولا ترضى به بديلاً .
ثم ان اجبار الامم والجماعات على اعتناق دين من الاديان
بالسيف يستوجب عدداً عظيماً من الفاتحين يقيم بعضهم في كل مدينة
وقرية يفتحها الجيش محافظة على الامن واقراراً للذين الجدد، وهذا
امر لا يؤيده التاريخ القديم ، كما واتنا على مثل اليقين من ان العرب
لم يكن لديهم في فتوحاتهم مثل هذا العدد العديد من الجند يتولى
حراسة القرى والامصار المفتوحة، ويقوم فيها على نشر دينه الجديد
بالقوة والعنف .

واذن فيجب علينا ان نلتمس سبباً غير ما تقدم نفسر به هذا
الزحف العجيب وهذه الوثبة العربية الغربية المدهشة
فاذا نظرنا الى التاريخ المعاصر نرى ان الاسلام ما يزال يتقدم
حديثاً في المواطن الغربية منه ، والامصار التي نتصل معه ، واعجب
من ذلك انه دين يقاوم كل ما يعرض عليه من اديان جديدة ،
ويرفض كل نظم تقدم له ولا تسير وفقاً لشرائع دينه وتقاليد نبيه
ولديه قوة في التبسط غربية ليست لدى دين غيره من الاديان
المعروفة ، ومن المعروف ان احداً من المسلمين لا يتقبل المسيحية
ولكن كثير من المسيحيين يتقبلون الاسلام حتى اليوم وهذه ظاهرة
عجيبة تفسر لك ما في الاسلام من خوارق مدهشة

ولا بد ان يكون السبب الاساسي في تبسطه السريع في القرن السابع هو نفس السبب في تبسطه اليوم وتقدمه الحاضر ، ولعل هذا يعود الى سهولته اكثر من كل شيء آخر ، فهل لا يختلف مع العقل السليم والامور المقررة ، والمسلم يستطيع بكلمات بسيطة قليلة بسط عقائد دينه ، فيتفهمها الوثني حالاً وبدقائق قليلة ، وهو مع ذلك لا يأتيك بشيء جديد يختلف عن الاديان الحاضرة ، ولكنه يأتيك بذلك في صورة معقولة بسيطة لا تتحمل تأويلاً ولا تفسيراً ، هذا الى احترامه لتقاليد الآخرين وعوائد الغير لا يتعرض لها ولا يجارها ، ثم انه اليوم يتقدم دون ما سلاح ولا قوة ولا بطش ، وهذا يزيد في روعته وتأثيره ، فهو والحالة هذه دين يوافق الذهنية الانسانية ، وليس صحيحاً ما يقال من انه يغوي الناس بعقائده المتفككة التي لا تضرب في شدة ولا قوة ، والواقع غير ذلك لان الاسلام شديد في بعض عقائده واموره ، فهناك الصيام ، وتحريم الاشربة المسكرة ، ولحم الخنزير وغير ذلك مما هو شديد على النفوس التي تعودت عليها

وليس من شك في ان وثبة العرب المسلمين من الجزيرة العربية واقتحامهم العالم المعمور في عهدهم ، واقدامهم على هذه الفتوحات البعيدة المدى امر يثير الدهشة ويبعث على الاكبار ، خصوصاً اذا

نظرنا الى قلة عدد العرب المسلمين في ذلك العهد ، ونقص الالهة
عندهم واقتحامهم لدولتين من دول العالم - الفرس والرومان - وهما
كما يعلم القاري من اعظم دول العالم في ذلك العهد قوة وعدداً
وعدداً وحضارة وثقافة

واعلنا لا نخطيء وجه الصواب اذ ارحنا نفسر هذه الوثبة وفاقاً
للتاريخ ووفقاً للذهنية العربية الاسلامية في ذلك العهد ، واذا نظرنا
الى هذه الذهنية وجدناها تضطرب في توحيد هذا الاسلام لهذه
القبائل العربية المشتتة المفككة الاوصال ، المتهدمة العقلية
والعقيدة ، وجمعها وتنظيمها في نظم دينية واجتماعية واخلاقية
قوية جداً

ولقد كان الدين الجديد شديد الاثر في التشريع الذي خالق من
القبائل العربية مجتمعاً منتظماً متمسكاً تسند في روحها الى اقوى
مبادي الطبيعة البشرية ومشاعرها . واذا ذكرنا ان هذا التشريع
الذي انشأه محمد منذ ثلاثمائة سنة والى سنة ما يزال حتى يومنا
هذا تشريعاً تسيّر الدول الاسلامية وفاقاً لهديه ، وقفنا على صورة
هذا التشريع واثره العجيب في نشأة الحكومة الاسلامية الاولى
والاسباب التي مكنت لهذه الحكومة بالتبسط والاستبحار في العمران
والامتداد بفتوحاتها الى اقصى الارض

لقد اشار المؤرخ فلي الى هذه الظاهرة الخطيرة حين قال :

« قد منحرف المؤرخ عن موضوعه ليتأمل حياة رجل نال سلطة خارقة على عقول اتباعه واعمالهم ، ووضعت عبقريته اساس نظام ديني سياسي ما يزال يحكم الملايين من البشر من اجناس مختلفة وصفات متباينة ، وان نجاح محمد كمنشع بين اقدم الامم الاسيوية ، وثبات نظمه مدى اجيال طويلة في كل نواحي الهيكل الاجتماعي ، دليل على ان هذا الرجل الخارق قد كونه مزيج نادر من اكبر العبقريات »

واذا اضفنا الى هذا مبدأ الوحدة في العقيدة الالهية وفي القومية وفي الادارة الدينية والمدنية والسياسية والقضائية والعسكرية واندماج كل هذه جميعها في نظام رئيسي واحد ، وقعننا ايضاً على عامل قوي كان السبب في التفاف القبائل المختلفة حول الدين الجديد واجماعها على بث دعوته ، ودفع سلطانه بحماسة وعزم كانت لهما الاثر الاعظم في سير الفتوحات العربية وبلوغها هذا المدى البعيد السحيق .

واذا ذكرنا ايضاً اضطراب السياسة الدينية والسياسية والمدنية والاجتماعية في مملكتي الاكامرة والرومان ، واتحاد كل هذه عند العرب الفاتحين ادر كنا السبب الثاني في نجاح الفتوحات العربية واستطاعتها اقتحام الدولتين ، وانهيارهما امامها

ثم ان العرب الفاتحين كانوا يقدمون في فتوحاتهم امثلة سامية

من الاعتدال وضبط النفس واجتناب الكبائر والاساليب الوحشية التي كانت تسود صحف الحرب في تلك العصور ، والتي كانت الرومان والفرس في فتوحاتهم يستعملونها ، ويروجون لها خذ مثلاً وصية ابي بكر الخليفة الاول لقواده لما بسط يده في الفتح وبعثهم لغزو البلاد الفارسية والرومية فان هذه الوصية تعد من اروع الوصايا التاريخية ، وليس لها مثيل في تاريخ العالم ولقد وصى ابو بكر جيش اسامة حين بعثه لمحاربة غير المسلمين فقال : « لا تخونوا ، ولا تغدروا ، ولا تغلوا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلاً ، ولا شيخاً كبيراً ، ولا امرأة ، ولا تحرقوا نخلاً ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً ، وسوف تمرون باقوام قد فرغوا انفسهم في الصوامع ، فدعوهم وما فرغوا انفسهم له »

وجيش هذه سياسته ، وهذه وصية قائده الاكبر له من الحق ان ينتصر ومن الحق ان يحمد له من ابناء البلاد المفتوحة اعواناً وانصاراً يساعدونه على عدوه الذي كان كثير الفظائع ، بعيداً عن العدل مضطرب السياسة ، مختلف الاحزاب

ولا بد من القول ان لسياسة الخلفاء الراشدين اللبقة شأناً في هذه الفتوحات العظيمة ، واذا اصفنا الى ذلك ان الاسلام لم

يكن في فتوحاته هذه وانتصاراته العظيمة يجبر الامم المغلوبة على اعتناق دينه بل يتزكهم احراراً يمارسون عقائدهم وطقوسهم وفاقاً لتقاليدهم وعاداتهم ، وان هذا كان شيئاً جديداً لم تكن تعلم بمثله هذه الامم التي كانت تلاقي الامر من العنف والاضطهاد ، كما وان الضرائب التي فرضها الحاكمون المسلمون كانت شيئاً قليلاً بالنسبة للضرائب التي كانت تفرض عليهم قبلاً من حكاهم السابقين ، ادر كنا الاثر الذي احدثه الاسلام في قلوب سكان البلاد المغلوبة ، مما حمل سكان هذه البلاد على تقبل الاسلام عن رغبة لا عن رهبة

وقد قال المؤرخ الاستاذ جون سميث في هذا الصدد ما يأتي :
 « ان الاقبال العام على اعتناق دين جديد على اثر فتح اجنبي امر لا يسكد بعرفه العصر القديم ، ولكن الاسلام يقف وحيداً في هذا الفوز »

وقال المؤرخ دوزي بهذا المعنى ايضاً :
 « ان هذه الظاهرة تبدو لاول وهلة لغزاً غريباً لا سيما متى علمنا ان هذا الدين الجديد لم يفرض فرضاً على احد »
 وبينما كانت الدولة الرومانية وآسيا الوثنية ، وافريقيا المضطربة الاغراض والمذاهب في ما يشبه انعدام العدالة المذهبية والحجر على الروحانيات والآراء والمعتقدات ، كان الاسلام يتقدم الى الشعوب

المفتوحة بيزنيين او نعمتين لم تكن تعرفهما هذه الامم والجماعات في عهد حكوماتها، الاولى نعمة الحرية الدينية ، والثانية نعمة الاعتدال في فرض الضرائب وحصرها في حدود معينة ، وهما باعتراف جمهرة المؤرخين من اهم العوامل التي مهدت للعرب سبيلهم الى تأييد الشعوب المغلوبة ، بل الى معاونتها الفعلية في محاربة الرومان وغير الرومان

وقد استقام للاسلام الظفر في سورية ومصر باسرع مما استقام له ذلك في اي بلد آخر ، وسببه ان النصرانية كانت قد سادت مصر وسورية بقوة النار والسيوف ، ولم تلق اليهما في اثواب واضحة محددة مقررة ، ولا كانت فيها راسخة الجذور ، بارزة العقائد والتعاليم . وكان العنف والارهاق والمطاردة الدينية وتعدد الاديان والمذاهب ، ونضارب العقائد والتحل قد ادت بهما الى اسوأ اطوار الانحلال السبائي والفوضى الاجتماعية ، هذا الى انه كان ثمة شبه كبير بين كثير من عقائد الاسلام والنصرانية وكان الظفر الذي اقترن بتقدم الاسلام مرجحاً قوياً له على غيره وسواه ، ودعوة عميقة الاثر في سبيل اكباره ، كما ان ضروب العدالة والرفق التي اقترنت بسياسة الغزاة المسلمين الاوائل كانت حجة ناهضة على جور الحكومات في هانئك العصور ، وعلى ان النظم الدينية المتبعة لم تكن مثلاً حقيقياً لمثل العدالة والاخاء ، أفلم تكن هذه كلها شواهد

قاطعة عميقة الاثر على ان الدين الجديد جدير بالاتباع وانه
 وهو الظاهر الدين الحق . وكان الاعتقاد في حدوث المعجزات
 سلاحاً مسموماً ارتد الى صدر القائلين به من رجال الكنيسة .
 فانه لم تحدث معجزة ترد عادية الاسلام على النصرانية ولم تنقض
 الصواعق على اولئك الغزاة الاشداء الذين اجتاحتوا سواد العالم
 القديم في زهاء جيل من الزمن

يقول ديسوت : ونضرب مثلاً على سرعة هذه الفتوحات
 العربية فتح العرب لاسبانيا . لقد مشى اليها طارق على رأس عشرة
 آلاف من جنده فكسر الجيش (الجوثي) الذي اراد محاربه ثم
 امده موسى بن نصير القائد العربي بعشرين الف جندي مشى هو
 على رأسهم فتمكن العرب بهذا الجيش القليل العدد البعيد عن
 مواطنه وامصاره ومراكزه من اقتحام اسبانيا من اقصاها الى اقصاها
 ودفع الجوث الى الجبال يعتصمون بها ويتخذونها موطن جديدة لهم
 وراح المسلمون بعد هذا الفتح يحترمون العقائد المذهبية عند
 الاسبان فلا يعرضون لها بنكر ولا انكار ، وتركوا للمسيحيين
 قضائهم ، وعقائدهم وقوانينهم وكنائسهم ، واكتفوا منهم بجزية
 زهيدة يدفعها الى الخزانة العامة كل فرد منهم . ولقد تمكن العرب
 من فتح اسبانيا في اقل من سنتين ولم يتمكن المسيحيون من

استرجاعها الا بعد معارك دامت ثمانية قرون

واخذ العرب يتقدمون بعد ذلك الى فرنسا ، فسقطت (ناريون)
في ايديهم ، وكذلك كان مصير (كاركاسون) ووصلت خيول
الجيش العربي الى (ليون واوتون) ولما اراد العرب التقدم نحو (نور)
سنة ٧٣٢ ردهم شارل مارتل في معركة (بواتيه) فلما اراد مطاردة
الجيش العربي لم يوفق لان سكان البلاد الافرنسية راخوا يحاربون
مع المسلمين العرب حين رأوا ما يقوم به جنود شارل مارتل من
النهب والسلب ، وما يزال اثر الغزو العربي باقياً في بعض البلاد
الافرنسية حتى يومنا هذا

فاذا قام الخلفاء العباسيون كانت الاسلام قد وصل الى
ذروته في التضخم السياسي والاستبحار في العمران ، وانتشار
الفتوحات ، لقد كانت الامبراطورية العربية تمتد من الهند الى فرنسا
ومن البحر المتوسط الى الصحراء ، وكان هارون الرشيد يتبادل
الرسائل والهدايا مع شارلمان امبراطور الافرنسيين ويأخذ الجزية من
امبراطور القسطنطينية

ولكن الروح التي سادت هذه الامبراطورية العظيمة ، والحماسة
التي غذتها ، والتضحية التي خلقتها ، كان قد اخذ الضعف يدب اليها
جميعها ، فانصرف المسلمون عندئذ الى الخلافات الدينية والبحوث
المذهبية ، وهذه وان كانت تدل على تقدم فكري وفلسفي عميق ،

الا انها كانت مؤذنة بانحطاط المملكة الاسلامية ، وقد اتصل هذا
 الاختلاف في النظريات الدينية الى الاختلاف في الشؤون السياسية
 ومصاير الحكم ، فاخذت الامبراطورية الاسلامية تنهار رويداً
 رويداً ، ولكن الاسلام ظل قائماً كقوة عالمية عظيمة



استعمار الحضارة والعمران

اس هنا مجال التبسط في حضارة الامبراطورية العربية وعمرانها ، ولبس الى هذا سبيل في هذا الفصل الذي نريده كثير القصد بعيداً عن الاغراض في بحث اسباب هذه الحضارة والوانها ونواحيها وهي كثيرة الاماد بعيدة المدى ، وانه لشرف عظيم للاسلام في اول نشأته وبدأ ظهوره ، وفي ايام النبي عامه والخلفاء من بعده خاصة ان تتوفر على تغذية البقرات من اتباعه لا فرق في ذلك عنده بين عربي وعجمي ولا بين شريف ومولى ، فكان من اثر ذلك ظهور هذه الشخصيات الفذة في التاريخ الاسلامي من اعاجم وموالي وتمكنها من التمام به طها في انشاء هذه الحضارة وتقويتها وتغذيتها ومسدها على اتساع والاستبحار في الامبراطورية العربية من اقصاها الى اقصاها .

وانه لغريب حقاً توفر هذه الظاهرة على الظهور في بدء الاسلام ولعل مرد ذلك الى هذه الاخوية الاسلامية التي راح يدعو اليها محمد ، ويعمل على تعزيزها وتغذيتها فقد عودتنا امثال هذه الحركات

الدنية وغير الدينية في بدء ظهورها ان تكون ضيقة مبددة في ما
يتصل بالغرباء عنها في النسب واللغة ، واما الاسلام فقد انكر
ذلك كل الانكار ، وايد الاخوية الاسلامية كل التأييد ، وقال
لافضل لعربي على اجنبي الا بالتقوى والعمل الصالح ، واذا كان
هناك من تعصب شاهدناه في عهد الامويين وغير الامويين ، فقد
كان هذا التعصب ضيقاً ، وكانت عصبته ترجع الى العصبية
الجاهلية البرية التي كانت لا تزال قوية الاثر ، حتى لقد كانت
هذه العصبية تتصل بالعرب بعضهم مع بعض ، واما الاسلام فلا شأن
له في هذه العصبية ، ولا هو ارادها ، ولا دعا اليها

ولقد كانت الحكومة في عهد الخلفاء الراشدين فالامويين
والعباسيين حكومة موفقة حقاً ، نغني بذلك انها حكومة كانت
تعمل على الاحسان في ما يتصل بالمصالح الشعبية ، من اقامة العدل
وتغذية العقل ، واحقاق الحق ، وليس هناك سبيل الى انتقاد
هذه الحكومة وانتقاصها فقد كانت تنعم بنظم تضطرب في ارقى
المثل العليا التي تحاولها اليوم حكومات العالم المتعدن

وقد توفرت هذه الحكومات على فتح الطرق ، وتشجيع
العامة ، وانشاء البرد ، وتقسيم الضرائب تقسيماً عادلاً لا سبيل معه
الى الشكوى ، وكان يتوالى على حكم الامصار المختلفة في
الامبراطورية قواد وحكام احسنوا في ادارتهم المختلفة ، ووفقوا

كل التوفيق في ما يتصل بهذه الامصار من احق-اق حق ، ورفع
مظلمة ، ودفع مضرة ، ورفع المستوى الادبي والعلمي والمساعدة
في نشر المعارف وازدهار الحضارة الادبية والعلمية

فليس عجباً والحالة هذه ، والامبراطورية العربية المسلمة
تضطرب في ديموقراطية لا تعرف نظام الاقطاع ، ولا تأثير للكهنة
فيها ، ولا شأن للارستوقراطية بها ، ولا امل في توفر المناصب الوراثية
عندها ، ان ترى عبداً يصبح وزيراً ، ومولى ينصب حاكماً ، وعائلة
لا تتصل والعرب بنسب وسبب تتسلم زمام الاحكام ، وتسير الحكم
في هذه الامبراطورية العظيمة وفقاً لاهوائها واغراضها

وهي بيئة مذهشة حقاً ، هذه التي تسمح للفرد النشيط الذكي
بان يصبح سيداً حاكماً ، وان يبلغ بجدته ونشاطه ارقى المناصب
وارفع المراتب

ويضاف الى ذلك رغبة العرب في طلب المعرفة التي امر بها
النبي وفرضها على المسلمين فرضاً ، واتصال هؤلاء الاقوام بالحضارات
السابقة ، والمساعدة التي كانت يقدمها مفكرو هؤلاء الاقوام
والجماعات في مختلف فنون المعرفة ، بتأثير العطف العربي عليهم ،
وتبسط العدل في امصارهم وربوعهم

وبانصال العرب بالامم والجماعات التي لا تتصل مع العرب

بسبب موصول خصوصاً الفرس منهم اخذت الثورة التي كانت
 تلم بالعربي وتستولي على كل مناحيه ومنازعه تهدأ وتلين ، ونريد
 بالثورة هذه الشدة في معاملاته ، وهذه النار التي تجعله غاضباً لاتفه
 الاسباب ، وابس الامور ، وقد يذهب بعضهم الى الايمان بتأثير
 المرأة العربية في هذه الناحية ، بعد ان اخذ يظهر منهن الشاعرات
 والاديبات ، ولا يجب ان ننسى في هذا الباب ما كانت تتمتع به المرأة في
 عهد الامبراطورية العربية من حقوق ومزايا لم تكن تتمتع بها
 زميلاتنا الاوروبيات اللواتي كن لا يزلن في عهد الجاهلية وعهد
 البربرية المحضة ، فان الامبراطور شارلمان لم ير كبير امر في ان
 يضرب شقيقته في وجهها اثر جدال بينها وبينه فيكسر لها اربعاً
 من ثناياها

وليس يسع المرء الا الاشارة في هذا الفصل ايضاً الى هذه
 الاخلاق العربية الرفيعة من حفظ الجار ، والمحافظة على العهد
 واكرام الضيف ، والاغراق في البذل والعطاء . وهي صفات
 كان عزيزاً ان تجد مثلها في الامم والشعوب التي كانت تساق
 العرب الحياة في ماضيات الايام

واما تقدم العرب في الشعر والانشاء والتاريخ والادب وغير
 ذلك من الوان المعارف فلسنا نجد له مكاناً في هذا الفصل
 لغزارة هذا البحث وكثرة من نبغ من الفحول والكتاب والشعراء

واما في الفلسفة فقد ترجم العرب كتب الاغريقين جميعهم ،
وكانت الترجمة صادقة صحيحة بحيث انها كانت اساساً لدراسة
الفلسفة في عهد النهضة ، وفضل العرب في هذا الباب عظيم الخطر ،
فهم الذين حموا الفلسفة اليونانية من الانقراض والتضعف بترجمتها الى
لغتهم وقد انتقلت ترجماتهم هذه الى القسطنطينية ومنها الى
ابطاليا حيث ترجمت الى اللغة اللاتينية وانتشرت منها في العالم
الاوربي .

ولا بد من الاشارة الى ان الفلاسفة العرب لم يتقبلوا الفلسفة
اليونانية كامر واقم ، وكنظريات مقررة ثابتة لا تحتمل جدلاً
ولا بحثاً ، ولكنهم راحوا يتناولونها بالتعديل والتحويل فخرجت
فلسفتهم وفيها جدة وعمق افاضت على الفلسفة اليونانية جلالاً
جديداً وانتاجاً رائعاً ، وقد كان للفلسفة العربية من الشأن والخطورة
في القرون المتوسطة حتى انها كانت الشعلة الوحيدة التي راحت
تضيء نور المعرفة مدى اجيال عديدة

لقد اشرت في هذا الفصل الى اني لست بمتمنع فيه التوسع
المطلوب ، ولا بمبتسط فيه التبسط المنتظر ، اعتقاداً مني ان
القاريء واجد ما يطلبه من مثل هذا البحث في مطولات كتب
الادب والتاريخ ، ولذلك فاني مختصر ما قدمت في هذا الباب

خاتم ما تقدم بالقول ان العرب الذين انشأوا هذه الحضارة الرفيعة
المقام الجيلة الاثار قد ادوا للعالم في عهدهم ، ولأوروبا من بعدهم خدمة
عظيمة لان حضارتهم هذه ظلت تنير الطرق والمفاوز لكل الامم
التي عاشت معهم ، او تبسط عمرانها بعد انهيار حضارتهم

وليس يصح ان اختتم هذا الفصل دون ما كلمة في الحروب
الصليبية ، واني تارك للمسئوديسون نفسه ان يتناولها في كتابه
بصراحته التي يشكر عليها قال :

« من الحق ان نتناول بالبحث هذا الحدث التاريخي الخطير
المصابر وهو الحروب الصليبية التي اقامت الاسلام والمسيحية وجهاً
لوجه مدى سنوات عديدة ، واثارت من الخصومة والبغضاء بينهما ما
يزال اثره قوياً ظاهراً

لقد توسلت الكنيسة بكثير من الطرق الى تخفيف هذه
الشعلة البربرية التي كانت لا تزال تلم في ابناء الغرب وقد وفقت في
غرضها هذا الى حد محدود ، فلما كانت الحروب الصليبية مشي مع
الصليبيين اقوام كان همهم السلب والنهب ، وغايتهم السرقة والقتل
وزاد في ذلك ما لاقوه في طريقهم الى بيت المقدس من عناء ومشقات
ومن تعب وضنك

والواقع ان الصليبيين انفسهم قد ظهروا للمسلمين وغير

المسلمين أيضاً كبرابرة مخيفين حقاً (١) وقد اظهروا في آسيا
ضروباً من العنف والفظائع لم تكن تعرفها هذه البلاد التي كان
قد مر عليها أربعة قرون وهي تعيش في نظام من العدل العربي لم تكن
قد رآته قبلاً (٢)

وقد اقتحم الصليبيون القدس في ١٥ تموز ١٠٩٩ وقتلوا
في اليوم نفسه عشرة آلاف من المسلمين التجأوا الى جامع عمر ظناً
منهم انه مانعهم عن اعدائهم الفاتحين (٣) ثم لم يكفهم هذا ولا خفف
من ثورتهم الدموية شيئاً فراحوا في الاسبوع نفسه
يقتلون من المسلمين واليهود والمسيحيين الذين لم يكونوا من
الكاثوليك ما يقرب من ٦٠ الف نسمة (٤)

(١) «انهم لا يستحقون لقب الانسان» من كلمة للشاعر سعدي

(٢) وصف (روبرت ل موان) مذبحه سكان (مارات) المسلمين
قائلاً «لقد بدأت مذبحه الترك في ١٣ كانون الاول ولم يكف ذلك اليوم
لقتل جميع الاسرى فاجزنا على البقية في اليوم التالي»

(٣) «لقد استحر القتل في هيكمل سليمان ٤ وكثرت فيه الجثث
حتى ان الجند الذين قاموا بهذه المذبحة لم بعد بامكانهم ان يطبقوا الرائحة التي
كانت تتصاعد من جثث القتلى» الاب ريموند داجيل

(٤) «جنون غريب» هذا ما وصف به (برنارد) الصليبيين عند دخولهم
الى القدس فاتحين

وكان خلفاء الصليبيين الاول مثل اجسادهم قسوة وشدة
وعسفاً وقتلاً ، حتى لقدراح يصفهم بعض رجالات المسيحية وصفاً
شديداً وينكر انهم من المسيحية في شيء ابدأ ، وحتى ان
المسلمين انفسهم تناسوا اختلافاتهم وقاموا جماعة واحدة لصد
وقتلهم ، فلم يمض وقت طويل حتى اخرجوهم من القدس والبلاد
المقدسة

وقد يذهب البعض الى القول بما كان للحروب الصليبية
من اثر في تغذية الحضارة الاوربية ، بسبب اتصال هؤلاء بالمسلمين
المتحضرين ، وهذا قول مليء بالخطأ لان العلاقات بين الاسلام
والمسيحية كانت حسنة جداً قبلاً ، ولما بعد الحرب الصليبية فقد
اخذت شكلاً دمويّاً يؤسف له ، وما تزال آثاره بعيدة الاثر
شديدة التأثير

وبانتهاء الحروب الصليبية اخذ الاسلام يتراجع عن حدوده
الاولى ، واخذ الاختلاف يدب بين صفوفه ، واشتدت البدع فيه ،
وكثر الايمان بالصلحاء وغير الصالحاء فقامت لهم المساجد والبيع
بقصدها المسلمون للزيارة وطلب الدعاء ، مما كان من شأنه ان
يصرف الاسلام عن سبيله الاول ووحدته السالفة ، ووحدانيته
الاولى التي دعاها محمد وامر بها

ولكن الروح الاسلامية الفتية النقية الطاهرة كانت لانزال
 تغمر القلوب التي اخذت تنادى وتعمل لاعادتها سيرتها الاولى،
 والامل عظيم بان ترجع هذه الشعلة الاسلامية الى سابق امجادها
 وماضيات ايامها



النهضة الإسلامية الجديدة

بدأت النهضة الإسلامية الجديدة بعبد الوهاب زعيم الوهابية
فقد راح هذا يحاول إعادة الانعاش الى تراثه السالف وهدبه الماضي
وروحه الفطرية التي مكنت له في الفوز ، فغلب العالم في عشرات
من الاعوام

وقد وجد عبد الوهاب في محمد ابن السعود عضداً قوياً وعاملاً
اسلامياً شريفاً ، تمكن في سنوات قليلة من إعادة الوحدة
العربية في قلب الجزيرة العربية ، وراح يعيد تراث السلف الصالح
ويقتفي اثر الخلفاء الراشدين في اقامة العدل ، وبسط الامن ، وقد
حات هذه الفكرة الاصلاحية بذورها في الاسلام والامم
الاسلامية ، واحس مفكرو الاسلام بالضرورة الملحة الى لمشعثهم ،
وتوثيق ما تفرق من شملهم ، والعودة الى القرآن في جميع ما يريدونه
من احكام ، وما يتطلبونه من معاملات ، وهذه الفكرة في الرجوع
الى عقائد الاسلام الاول فكرة خطيرة اخذت نلأقي اليوم كثيراً
من الانصار والاعوان ، لانها باعتقاد الجميع السبيل الاوحد الى

اعادة الابداع الفائرة

والواحدة في الواقع ، ليست الا عودة الاسلام الى نشأته الاولى ، والايان بالقرآن والحديث ، دون ما تفسير ولا زيادة ولا نقصان ، هذا في ما يختص بالمعاملات الدينية طبعاً واما ما يتصل منها بالمعاملات الاجتماعية وغيرها فان محمداً نفسه قد اقر بضرورة التعديل في هذه حين قال اني لست غير رجل منكم فان امرتكم بشي يتعلق بالدين فاتبعوه ، وان امرتكم بشي يتعلق بالمعاملات الدنيوية فاني لست غير رجل منكم

وقال في مكان آخر : انكم في زمن ان تتركتم عشر ما امركم به هلكتم ، وسيا في زمن اذا اتبع الواحد منكم عشر ما يؤمر به نجا

والواقع ان الاسلام اليوم يقف موقف المسيحية في عهد النهضة ، واما ريتان فيذهب الى انه يستحيل على الاسلام ان يتقدم ويساير الحضارة الحاضرة ، وهي فكرة خاطئة لان المسيحية في بدء النهضة كانت كالاسلام اليوم شديدة ضيقة بحيث لم تكن تسمح لحرية الفكر بالذبوع والانتشار ، فلم يمنعها هذا من التطور والتكيف وفقاً للحضارة ووفقاً للعلم الحديث ، وما نظن الاسلام الا موقفاً في هذا السبيل ناجحاً في التكيف مع الحضارة الحديثة ، خصوصاً وانه من اكثر الاديان تأييداً للعلم وتقديراً لحرية الرأي

والفكر الجديد

ألم يأمر النبي اتباعه بطلب العلم من المهد الى اللحد ؟
 ألم يقل لهم ان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ؟
 ألم يأمرهم بطلب العلم حتى في الصين ؟
 والواقع ان الاسلام اقرب الى التقدم من سواه من الاديان
 لانه لا كهنوت فيه ، وليس هناك فيه عقائد مخنومة مقررة لا
 يستطيع تأويلها وعلى الخروج عنها
 وليس من ينكر تأثير الحضارة الاوربية الحاضرة على الاسلام
 وقد سبق للاسلام في ماضيات الايام ان راحت حضارته تقتحم
 البربرية الاوربية ، وها هي هذه البربرية اليوم وبعد ان اخذت
 حظها من الحضارة والعمران تدفع الدين الذي عليها للاسلام
 فتعده وتغمره بارفع ما لديها من معارف وعلوم ومن اختراعات
 وفكر جديد

والاسلام يتقبل كل هذه رويداً رويداً ، والمسلمون في اقطار
 العالم يعملون لتفهم هذه الحضارة الغربية الجديدة والاستفادة منها ،
 ورجالات الاسلام الذين يقودون جماعاتهم الى تفهم هذه الحضارة
 يجدون اوريا لهم بالمرصاد ، فكان من اثر ذلك ثورتهم على الحكم
 الغربي الذي يقف حائلاً بين الاسلام وما يحاوله من تفهم
 الحضارة الجديدة ، وهو ما نشاهد اليوم آثاره في مختلف الاقطار

العربية التي اخذت ترفع عقيرتها مطالبة باستقلالها وحرياتها

يضطرب الاسلام اليوم في ظاهرتين عظيمتين ، الاولى تتعلق بالجدة الاسلامية الجديدة في الهند ، وهذه يجب تفصيلها فنقول :

ان زعيم الجدة الاسلامية في الهند هو السيد امير علي ، ولا مير علي مؤلفات قيسة في هذا المعنى هذه خلاصتها :

«ان الوحدة الالهية تظل الاساس الاول في التعاليم الاسلامية الجديدة ، وسبحانه وتعالى عظيم قوي عادل حكيم رحيم ، واما المعجزات فتسببها المدرسة الهندية الحديثة وهي تسبب في ذلك وفاتاً لتعاليم النبي الذي كان لا يرى في غير القرآن معجزة كبرى اما الانسان فحرف في اعماله وهو مسؤول عنها

واما الصلاة فتصوير لواجبات الانسان نحو ربه ، ونفسير لما يضطرب في قلبه وفؤاده من خضوع وايمان

واما الكعبة التي بولي المسلمون وجوههم شطرها في صلاتهم فبيت له ، والموطن الذي خرج منه الاسلام ونشأ ، والصيام يعلم المرء كيف يضع حداً لشهوته ورغائبه ، ويمكنه من ان يكون حاكماً امراً على هذه الشهوات والرغائب لا يسيرها الا بمقدار ، ولا يسمح لها ان تذهب به الى الهلاك

واما الزكاة فمن اركان الاسلام الاساسية ، وليس في العالم
دين غير الاسلام جعل الزكاة فرضاً من فروض الايمان ، وهو فرض
جميل هذا الذي يستطيع به المرء القادر مساعدة الضعفاء والفقراء
من بني قومه

واما الحج فرمز الى الاخوة الاسلامية العامة الشاملة التي تجمع
بين مختلف الجماعات وشتى الاقوام

وان سبحانه قد خلق في الناس عقولاً فعليهم ان يميزوا بين الخير
والشر ، وكل امرؤ مسؤول عن اعماله في الحياة الآخرة

والاسلام بدعو الى الحب والاخوة ، وهو في ذلك يتفق مع
المسيحية من انه دين عام لكل الامم والجماعات

وقد قال احد مسلمي الهند : « ان الاسلام الحاضر وما فيه من
بدع وخرافات بعيد عن اسلام محمد النبي ، ان القرآن كتاب يجب
ان يكون مناراً لنا في اعمالنا ، وهدى لنا في ما نقوم به من واجبات
والكنه ليس حجر عثرة في سبيل تقدمنا ، لان الاسلام ليس معارضاً
للتقدم ولا مخاصماً للحضارة الجديدة الصحيحة المفيدة ، واذا ما
حذفت البدع والزيادات من الاسلام فانه دين بسيط ، يضطرب في
الايمان بالله ورسوله ويأتمر بما امر به الله بلسان رسوله ، وما سوى ذلك
فهو زيادات لا فائدة منها »

فاذا انتهينا من بحث الجدة الاسلامية في الهند ، فعلينا ان
نعرض لهذه الجدة في مصر ، وما كان للشيخ محمد عبده وجمال الدين
الافغانى من شأن فيها وسيطرة عليها

لقد قال الشيخ الامام محمد عبده : « ان من يريد معرفة دين
من الاديان معرفة حقيقية فعليه ان يرجع الى نشأة هذا الدين الاولى
واوامره ونواهيه واحكامه وما يتصل به من تعاليم وغيرها
ليستطيع ان يحكم على هذا الدين حكماً بعيداً عن الهوى ، غريباً عن
الاغراض »

فاذا ما رجع الانسان والحالة هذه الى نشأة الاسلام الاولى
وجد ان هذا الدين بسيط جداً ، وان اوامره ونواهيه واحكامه
مقررة في القرآن ، مفسرة في الحديث المتواتر عن اقوام لا
يترقب فيهم

واذن فالاسلام دين قوامه القرآن والحديث ، والقرآن كتاب
الله ، واذن فلا فائدة والحالة هذه من التفرع في البحث ، والتطرق
في الآراء والذهاب الى آماذ بعيدة في تفسير هذه الآيات ، وهي
قد كتبت بلسان عربي ، وخوطب بها البشر عامة ، لافئة خاصة
من الناس ، ولا اقلية مثقفة منهم :

« كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن
المنكر وتؤمنون بالله »

وقد كان الشيخ الامام محمد عبده يجد في هذه الآية تأييداً
لمذهبه هذا من سهولة الدين وبساطة تعاليمه ، وان ما زيد عليه ليس
من الدين في شيء أبداً ، وانه دين العلم كله

وفي القرآن الكريم امثلة كثيرة على هذه الدعوة العالمية الى
الاسلام ، والواقع ان الحكم على دين من الاديان كما يقول
(الغزالي) يجب ان يكون وفقاً لقوائده ومنافعه للبشر ، وليس
من ينكر منافع الدين الاسلامي لمن اعتنقه من بني الانسان ،
ولا كيف خلقهم خلقاً جديداً واعزهم بعد ذل ، ودفعهم في سبيل
الحضارة والعمران

والشيخ محمد عبده يذهب مروجاً للاسلام وبساطته قائلاً :
انه الدين الوحيد الذي يساير الحضارة ولا يناقض العمران ، وان
تعاليمه هي التي لن تتبدل ولا تتغير ما تبدلت الايام وتغيرت المذاهب
لانها توافق كل جيل ، وتؤيد كل مذهب ، ولايتها تنفع الناس في
ماضيات الايام وحاضراتها ، وفي مقبلاتها

ثم انه دين العقل ، والشيخ عبده اذا كان ينكر البدع
الجديدة الا انه لا يتعرض لاوامر الاسلام الجوهرية بل هو يحاول
تفسيرها وفقاً للعلم الحديث ، وفي تفسيره لها روعة جديدة تذكرك
على انه وفق في هذا التفسير كل التوفيق ، كما انه يعمل ما وسعه

البيان لكي يوفق بين تعاليم القرآن وبين الفلسفة الحديثة

والواقع ان القرآن يساير الفلسفة الحديثة كل المسايرة ويتفق معها كل الاتفاق ، فتعاليمه لا تعارض الحضارة الحديثة ، واوامره لا تناقض المبادئ العلمية ، وقد يعجب القارئ من هذا التوافق بين الفلسفة والقرآن ولكن حسبك تقديراً لآياته وحسبك فيها لمعنى الفلسفة الحققة لتدرك ان لانضارب هناك ولا تناقض ، فالقرآن ليس كتاب عقيدة واثمان فحسب ، اذ لا يمكن ان تفرض ايماناً الا اذا جعلته في صورة يقبلها العقل ويطمئن اليها الفكر ، ولا يمكن ان يعتقد الانسان عقيدة جديدة دون مبرر قوي وبراهين واضحة

ولم يكن القرآن اول نزوله الا كتاباً يتناوله العرب بالشك والريبة ويهتمون صاحبه بالجنون والسحر ، فكان من الطبيعي في القرآن ان يشفع اقواله بالبرهان الناصع ويقرنها بالدليل المقنع والقرآن ليس بكتاب تشريع واخلاق فحسب ، فالتشريع والاخلاق لا بد لهما من فلسفة قوية يقومان عليها ، والمشرع والاخلاقي يجب ان يكونا فيلسوفين قبل كل شيء ، فلا يمكن للقرآن ان يبحث على الزهد في الدنيا ان لم يتحدث عن قيمة الحياة الآخرة والخلود والبعث وهذه مسائل فلسفية ، كما انه لا يمكن

للقرآن ان يبشر بالتوحيد ان لم يطرق البحث في الخالق وصفاته
وماهيته وهذه مسائل فلسفية ايضاً . فالقرآن قد تعرض لكل بحوث
الفلسفة فتكلم في الله وفي صفاته ، وعرض للروح وكنهها ، وبحث
في الخلود والبعث ، وصور للانسان مثلاً أعلى يجب ان ينشده
واختط له طريقاً يجب ان يسلكه

تقرأ ديكارت وافلاطون فتحسب ان للفلسفة اسلوباً واحداً
يجب الا يجيد عنه الفيلسوف ، هو اسلوب منطقي مرتب منسجم
قد لا تخلو عباراته من نواح لا تستطيع لها فهماً الا بعد عناء كثير
ولكنك تخطيء اذا انكرت ان للفلسفة اساليب متنوعة تختلف
وعقيلة القوم الذين برزت بينهم هذه الفلسفة

وقد يكون للعربي خيال رائع وبديهة قوية وخاطر
سريع ولكنه بطبيعة حياته المتنقلة الدقيقة يعجز عن التفكير المنظم
والبحوث المنطقية الدقيقة فهذه يجب لها الهدوء والاستقرار
والبدوي في نزاع دائم مع طبيعة قاسية تأبى عليه الا التمرد فيستغرق
هذا النزاع كل وقته . ومن هنا نستطيع ان نفهم اسلوب القرآن
في معالجته للمشاكل الفلسفية المعقدة ، فالقرآن اسلوب خاص
به يتفق وبدواً يعيشون في الصحراء ، بسيط التفكير ، ساذج
المنطق فهو يبهرهم ببديع الكلام وحسن اللفظ دون ان يثقلهم بمناقشات

علمية او نظريات غريبة معقدة

والقرآن كثيراً ما بلجأ الى التصوير المادي والامثلة يضربها لتقرب من الاذهان حقائق عميقة ، على ان هذه الحقائق التي اتى بها القرآن لم تكن جديدة كل الجدة على عرب الجاهلية ، بل هي خلاصة ما كانوا يحسون به ويفكرون فيه ، وهي اروع ما كانوا يتناقلونه ويتناجون به ، وهي آخر ما وصلوا اليه من رقي فكري نتيجة لامتزاجهم باليهود والنصارى ونتيجة لاتساع افقهم العقلي بهذا الامتزاج ، واخيراً لاستقرارهم نوعاً ما في بقاع مكة والمدينة .

ان وحدانية الله هي جوهر البحوث الاسلامية ومحور فلسفة القرآن ، فالارض والسموات لا يمكن ان يكون لهما آلهان او ثلاثة لانه « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » وتحقق الوحدانية في ان الله وحده هو الخالق المتصرف في شئون هذا الكون ، وما الملائكة والجن والبشر عامة ورسلاً وانبياء الا عبيدآله ، يقول يوم يفنيهم : لمن الملك اليوم ؟ فيجيب الله الواحد القهار .

واما كنه الله وحقيقته فهذا ما يقول عنه القرآن ان العقل البشري اعجز من ان يعقله ويدركه فهو « الواحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد » ، ونحن مضطرون الى ان

نؤمن بالله ونر كن اليه ونوقن بوجوده دون ان ندرك حقيقة هذا الوجود ، فهو «الله الذي لا اله الا هو خالق كل شيء» ، لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير»

وليس هذا الايمان مجرد عقيدة عمياء ، بل هو عقيدة بدعها العقل والنظر ، اذ لا يمكن تصور وجود دون موجد ، ولا يمكن ان يكون هذا النظام الدقيق الذي يجري على سنته الكون وهذه الحركة الدائمة المستمرة نتيجة الصدفة ودواعي الحال ، بل هي من صنع منظم خالق قادر « افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت » « قل لمن ما في السموات وما في الارض ؟ » وفي هذا كله دليل على خلق الله لكل شيء

واقول تفكير فيما يحيط بنا سينتهي الى الاقرار بوجود الله ، فهذه ارض هامة مجدبة ولكن الماء ينزل عليها فتتهز وتربي وتنبث من كل زوج بهيج ، وهذا ماء مهين يخرج من بين الصلب والترائب فيتحول الى نطفة ثم الى علقة ثم الى مضغة مخلقة وغير مخلقة ثم يخرج طفلاً جميلاً التكوين ، ذلك بان الله هو الحق وانه يحيي الموتى وانه على كل شيء قدير

واذا كنا لا نعرف ماهية الله في استطاعتنا ان نعرف صفاته فصفت الخالق هي اكمل صفات المخلوق وارقي ما في صفات

البشر ، فاذا كان للبشر حول وقوة « فربك المتين ذو القوة ، ويد الله فوق ايديهم » واذا كان للانسان ذكاء « فان الله خير المالكين » واذا كان في النفس كرم فان (ربك الاكرم)

وصفات الله ايضاً تنزهه عن نقائص الموجودات ، فالمخلوقات كثيرة متعددة ومن طبيعة الكثرة التناوب والتضاد ولذا فالله واحد لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . والمخلوقات تتوالد وتتناسل وفي هذا التوالد منقصة لعدم تحقق وجود المولود الا بوجود الوالد ، فالله اذن واحد لم يلد ولم يولد ... وكثير غير هذا يقدمه لك القرآن في اسلوب سهل ممتنع وتشبيه بدبع وامثلة محسوسة وليس معنى هذا ان الفلسفة المعقدة تعطيك فكرة عن الله اكثر من فلسفة القرآن السهلة ، لا فانك لو لجأت الى اشد الفلسفة تعقيداً او اكثرها تعمقاً لخرجت منها بافكار عديدة عن الله ونظريات تملأ جانب الغرور من نفسك ولكنها في نهايتها لا تصل الى اكثر مما وصل اليه القرآن في سهولته وبلاغته ، فليس بين الفلسفات فلسفة واحدة ادعت معرفتها كنه الله او تصورت كيفية وجوده

(أو ليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم ؟ بلى ! انما امره اذا اراد شيئاً ان يقول له كن فيكون)

فإن الله هو خالق هذا الكون العظيم بما فيه من أجرام ونبات وحيوان
وهذه المخلوقات كلها كلمة من كلمات الله . ولا تسئل بعد هذا عما
إذا كانت أصل الوجود مادة او روحاً ، فليست المادة والروح
والملائكة والبشر في نظر القرآن الا مظهرأ من مظاهر ارادة الله
(فانما امره اذا اراد شيئاً ان يقول له كن فيكون) ، (قال للسموات
والارض اثبيا طوعاً او كرهاً قالتا أتينا طائعين)

وهذه الارادة الالهية العظمى نملك جزءاً منها نحن البشر ،
فارادة انسانية واحدة تستطيع باخلاصها وقوتها وشدة ايمانها ان
توجه العالم بأسره وجهة جديدة ، وكلمة واحدة من قائد جيش
تتحرك الالوف الى حيث يريد ، وهذه الارادة الانسانية معها سميت
فهي ناقصة ولكنها كاملة في الله ، ومن دواعي كمالها ان تكون
ثابتة حكيمة لا يعورها تغيير ولا تبدل

وان كانت المخلوقات قد صدرت عن الله فهي لا شك متصلة
به باعتبارها عنوان ارادته ومظهر مشيئته ، فهو لم يخلقها من شيء
سابق ولم يأت بها من مادة معينة وانما شاء وجودها فوجدت ،
ومنفصلة عنه باعتبار وجودها المستقل عن وجود الله وباعتبار قبولها
للغناء والتطور بينا الله خالد لا يتغير ، يحر كها ويسيرها كيف
شاء في ادارة ثابتة (فلا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل

سابق النهار وكل في فلك يسبحون)

وعند الله مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو ، وعلمه يهبط الى
الجزئيات كما يصعد الى الكليات « فيعلم ما في البر والبحر ، وما تسقط
من ورقة الا يعلمها ، ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا
يابس الا في كتاب مبين » ونحن لا نعرف حقيقة هذا العلم ، فهو
علم لا يعلمه الا الله وحده ولكن لنا فقط ان نتصوره وان تقبله
عقولنا اذ ليس غريباً على الخالق الذي سوى نفسك ان يعرف خليجاتها
« فلقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه
من حبل الوريد »

« ولقد خلقنا الانسان من صلصال كالفخار »

فالانسان مخلوق من طين ، من عناصر الارض التي
يعيش فوقها ، ثم نفخ الله فيه نسمة من روحه فصار بشراً
سويّاً ، وكان من طبيعة هذا التركيب ان يكون الانسان
خليطاً من الشهوات والحكمة ، خليطاً من المادة والروح مزيجاً
من الشر والخير ، فالقرآن يعطيك صورتين متناقضتين عن
الانسان : فهو حقير مخلوق من ماء مهين في احسن تقويم ثم هو
مردود الى اسفل سافلين . هذه هي الصورة الاولى ، واما الثانية
فهي ان الله يأمر الملائكة ان تسجد لهذه الحقارة ، والقرآن

يفسر هذا التضارب بان الانسان حقير في مادته وبشهوانه عظيم في روحانيته

ومرتبة الانسان تسمو مرتبة الملائكة لو انجح له التحكم في رغبته والتوفيق الى الخير ، وفي سبيل هذا التحكم قد الهمه الله فجوره وتقواه وزوده بعقل يبين له الرشد من الغي ويميز الحق من الباطل ، وقد تتحكم فينا العادة فتغطي على هذا الالهام ، او تغلبنا تقاليد الآباء والاجداد فنسى عقولنا ، ولذا فكثيراً ما يعجب لنا القرآن ويهيب بنا ان نرجع الى عقولنا ونخلص من قيودنا قائلاً : « قد فصلنا الايات لقوم يعلمون » قد فصلنا الايات لعلمهم بفقهون وفي هذا التخلص من قيودنا والرجوع الى عقولنا سعادتنا وهناؤنا ، اذ في الارتفاع بالنفس الانسانية وتحكيم العقل وتنزيهه عن الشهوات المهلكة تحقيق للغاية التي خلقنا الله لاجلها ، فلو عقلنا لفهمنا ان الحياة الدنيا متاع الغرور وان الباقيات الصالحات خير وابقى .

وهكذا يعالج القرآن هذه المشكلة المعقدة في تلك السهولة والبساطة ، فهو يدعوك الى ان تأخذ بنصيكتك من الحياة ويحثك على السعي في مناكب الدنيا والاكل من رزقها ولكنه ينصحك الا تبالغ في هذا وتهلك عليه ، ويحاول ان يسمو بك وبعينك على الارتفاع من حضيض الشهوة بعبادة الله

وذكر اسمه والصلاة له ، فان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر
وفي التأمل في خلقه والتفكر في ملكوته عزة الانسان
وعظمته ، وفي التوجه اليه بالغداة والعشي ايقاظ للجانب الروحي منه
وتنبيه له

وهكذا ترمي ضروب العبادة من صوم وصلاة وحج الى
الاقلال من تحكم الجسد وفك الروح من اساره
ويقول القرآن للذين يابون هذه الحقيقة « من عمل صالحاً
فلنفسه ومن اساء فعليها ، ومن كفر فعليه كفره ، وما ربك بظلام
للعبيد » وبلغتهم الى ان ما سيصيبونه من مال وجاه ظل زائل لا يدوم
ولكنهم اذ يتهاككون عليه يفقدون اعذب ما في الانسانية من صفاء
روح وطأينة نفس ، وستجابههم هذه الحقيقة في الحياة الاخرى
فيتحرقون حسرة ويقولون ياليتنا كنا تواباً ، ويتمنون قائلين ربنا
ارجعنا نعمل صالحاً ...

والحياة الاخرى امر لا شك فيه ، اذ لا يمكن ان يخلق
الانسان عبثاً ، وليس بمعقول ان ينتهي هذا النشاط وتلك
الحركة الى تراب « وما خلقناكم عبثاً انما الينا مرجعكم ، فمن شاء
فليؤمن ومن شاء فليكفر . »

يذكر القرآن ان جميع بني آدم عبيد الله ، وبقرر هذه

العبودية بوضوح لا يتطرق اليه شك ، فما محمد الا رسول قد
 خلت من قبله الرسل ، ولن يستنكف المسيح ان يكون عبداً
 لله ، وفي هذه العبودية التي يمتلئ بها القرآن مصدر جديد لعظمة
 وعظمته ، فعنى عبودية البشر لله مساواتهم المطلقة لبعضهم ، وبذا
 بلغ القرآن في كلمة صغيرة كل الفروق الانسانية ، فليس هناك
 شريف وحقير ولا عبد ولا سيد بل الجميع عبيد الله ، وكلهم
 متساوون في هذه العبودية ، وانما رفع الله بعضنا فوق بعض
 درجات ليتخذ بعضنا بعضاً سخرياً لعمار الدنيا وتعمير الكون ، ولا
 فضل لاحد على الآخر الا بالتقوى « فان اكرمكم عند الله
 اتقاكم » على ان هذه المساواة ليست مساواة مطلقة مجردة من كل
 قيد وشرط اذ لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، ولا
 تستوي الظلمات والنور ولا الظل ولا الحرور .

وقد دعا القرآن الى الاخوة والتسامح « فانما المؤمنون اخوة »
 وهذه الاخوة تمتد الى الانسانية كلها « فان الذين آمنوا والذين
 هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً
 فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون »

واضاف القرآن - في علاقة البشر ببعضهم - الى التسامح
 فضيلة التعاون ورفع من شأنها حتى جعلها ركناً من اركان الاسلام
 فالزكاة فريضة واجبة يساعد فيها الغني الفقير

وهذا بصور القرآن للانسان مثلاً اعلی في طوقه ان يحققة :
 في الاخوة وحب الغير والتعاون والعفو والغفران ، ولكن هذا
 المثل الاعلی لا يدفع الانسان الى الضعف والمسكنة بل « من اعتدى
 عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » ومن بدأك بشر
 فجأوبه بشر ان استطعت

وهذا كله كان القرآن اقرب الكتب السماوية الى فهم
 الانسانية ، يزيدها قوة وعظمة على شريطة الا يدفعها ذلك الى
 الغرور فينسيها المساكين ويدفع بها الى احضان الشهوات

والواقع اننا اليوم امام نهضة اسلامية جديدة ، من حظ الحضارة
 المعاصرة ان تؤيدها كل التأييد وان تغذيها ما كان الى ذلك
 سبيل ، فان في عودة الاسلام الى حضارته السالفة وعزه الغابر
 ثروة انسانية جديدة تفيض على العالم الحديث جلالاً وجدة
 وعمقاً وحياة



الاسلام واوروبا

تضطرب النهضة الإسلامية المعاصرة في ثلاثة مظاهر والوان، وهي مظاهر ليست بذات ساعتها، ولا نشأت فجأة واستطارت بين الناس دفعة واحدة، وانما هي عمل سنوات، وتفكير جماعات عديدة، رأت في هذه الالوان الجديدة مظهراً جديداً من مظاهر الجدة المعاصرة، والتقدم الحاضر فراحت توطد لها الامر، ويمكن لها من الحياة والذبوع والانتشار

نشأت حركة الاصلاح في الاسلام في القرن التاسع عشر لما ضاق بعض رجال الاسلام ذرعاً بما يتهم به الاجانب الدين الاسلامي من انه السبب الوحيد في ضعف الامم الاسلامية وعدم استطاعتها تقدماً ونجاحاً، فراحوا يعملون لكي يكون للاسلام ما يستحقه من مركز عالمي في الحضارات الحاضرة يريدون ان يعودوا بالاسلام الى سابقات اعوامه وماضيات ايامه

وفكر آخرون في القوة التي تمكنها وتعزينا وحدة اسلامية عامة تجمع بين المسلمين في مشارق الارض ومغاربها لا فرق في

ذلك بين عربهم وعجمهم وقريتهم وبعيدهم ، ودون ما نظر الى
الاغراض السياسية والنزاع الخاصة فنشأت عندئذ فكرة
الوحدة الاسلامية

واخيراً ظهرت الفكرة الاستقلالية بعد الحرب ظهوراً قوياً
في الهند والمغرب والبلاد العربية ، وقد اخذت كل هذه الامم
الاسلامية تنفر الى حرياتهما وتطالب باستقلالها ، وتصرف للوصول
الى ذلك جهوداً عظيمة وتضحيات كثيرة

ويظهر اليوم ان كل هذه القوى قد اتحدت للوصول الى الغاية
الفردة والمثل الاعلى الذي ينشده كل مصر اسلامي ومن الحق ان
ينظر الى هذه الجهود الجبارة بعين العناية ، وان يترك لها المجال
للاوصول الى اغراضها ، لتقف على الاقل حائلاً بين البوشافية
المنكرة ، ولتمنع هذه من غزو الحضارة المعاصرة والعمل على
هدمها ومحقة ، لان في اتحاد الاسلام والبشافية خطراً واي خطر ،
ومصيبة قد لا يستطيع المرء التكهن بنتائجها ومصايرها

ولكن الاسلام يقف حتى اليوم حائلاً بين البوشافية وبين
ذيوها وانتشارها ، وهو في ذلك يدافع عن المسيحية ويدافع عن
الاسلام

ولرب سائل يقول « ماذا يكون مصير الاسلام في المستقبل ؟ »
وقد اجاب على هذا السؤال كاتب معروف بسؤال آخر

فقال : ماذا يكون مصير اوربا ؟

والواقع انه لو تعود الديموقراطية الاوربية الحاضرة الى نفسها - اذا كان الى ذلك سبيل - ونعلم ان الفائدة من الاتفاق مع الاسلام ومساعدته هي اعظم بكثير من استعباده والسيطرة عليه والوقوف بوجهه . وان اسباب التفاهم والاتفاق بينها اعظم بكثير ايضاً من اسباب الخلاف والشقاق ، لكن بامكان المرء ان يحكم على المستقبل حكماً مليئاً بالاطمئنان والايمان والرجاء .

ولكن الواقع غير ذلك ، وسوء التفاهم بين الاسلام واوربا يزداد قوة ، وبضطرب خصومة ، ويحتمد ناراً ، وهي حالة مؤسفة ، لانه ليس من مصلحة الحضارة الاوربية القائمة ان ترى الى جانبها هذه القوة الاسلامية الغاضبة الناقمة الصاخبة تهددها بالخطر المدام والشر المستطير .

واذا تمكنت اوربا من الحياة والاطمئنان الى مصايرها اعواماً عديدة ايضاً ، فهل يكون الاسلام في المستقبل والحالة هذه خطراً داهماً يهدد اوربا ويهدد نفسه بالانقراض والفناء ، ام انه يكون لدى الامم العربية في افريقيا وغير افريقيا داعية تقدم واصلاح كما كان في ماضيات ايامه ؟!

هذا سؤال يصعب الجواب عليه ، لتعقده وتعلانه بكثير من المسائل والموضوعات الخطيرة والسياسة الحاضرة ، ولكن الواقع

هو ان الاسلام اليوم امام نهضة عالمية خطيرة ، وان من الحق
والحكمة والمصلحة الاتفاق معه . وساعدته على اخذ مكانه الغابر في
الحضارة المعاصرة ، فان الاسلام قوة لا يستهان بها والشعوب
الاسلامية تكون عضداً عظيماً للفلسفة العلمية المعاصرة ، تنفيذها
وتقويتها وندفعها الى الابداع والخلود

انتهى الكتاب



أثر القرآن

لقد تبسطنا في كتابنا هذا بأقوال بعض مشاهير كتاب الغرب في محمد والاسلام ، وغايتنا من ذلك ان نقيم الادلة ، على اثر الاسلام ، حتى في نفوس كتاب الغرب ومشاهير فلاسفة المسيحية ، فلا يقول قائل انهم قالوا ما قالوه في الاسلام متأثرين بعقيدتهم واهوائهم ، خصوصاً وانهم من العلماء المنصفين الذين نشدوا الحق ، وبحشوا عن الحكمة جهد طاقتهم ، وقد كانت خلاصة آرائهم وزبدة اقوالهم ان محمداً كان صادقاً وكان معتقداً بان الله قد بعثه لهذا بقومه ، وارشاد سائر البشر الى الدين الحق ، وكان مقتنعاً ان الله تعالى يوحى اليه ، وانه لم يقل شيئاً الا وهو مقتنع به ، وهذا هو الراي السائد اليوم بين العلماء المحققين من اهل اوربة ، ولم يبق فيهم من يقيم وزناً لتلك المطاعن التي كان احبارهم ودرهbanهم واعداً الدين الاسلامي منهم ، بوجهونها الى رسول الله ، وبطبعون بها ناشتهم ويحملونها مداراً لدعايتهم

ولكن الامر الذي لا يزال يحير العقول هو تقدم الاسلام الخطير ، ومصرعة نموه وتبسطه ، وقد بحث (ماكس مايرهوف) هذه الظاهرة فقال :

« يكاد يكون مستحيلاً ان نفهم كيف ان اعراباً منقسمين الى عشائر ، ليس عندهم العدد والاعتدة اللازمة بهزيمون في مثل هذا الوقت القصير جيوش الرومان والفرس الذين كانوا يفوقونهم مراراً في الاعداد والعتاد ، وكانوا

بقاتلونهم وهم كتاب منظمة

.....

أما مؤلفا (تاريخ العالم) دموبين وبلاتونوف فيذهبان الى ان القرآن هو الذي اثار هذه العاصفة التي ذهبت بالفرس والرومان ، وان قراء القرآن الاولون هم الذين بشبائهم المتواصل بنوا الاسلام الاول الذي لم تطرأ عليه المؤثرات الخارجية ، والمجاذلات الكلامية وهو الاسلام القرآني الصرف وهذا القول حق ، فان هذه العصابات الاسلامية الاولى التي محضت الاسلام خلوصاً لاحد له ، وصرفت معظم حياتها للعمل في سبيل الله ، هي التي يجرأتها ، وروحها وبساتنها وتضحيتها مكنت هذه الفتوحات الهائلة ان تسير سبيلها في التاريخ باحرف من نار

والواقع ان الاسلام لم ينتشر الا بالقرآن وعمارة الصدور به ، الى ان بلغ قراؤه من القوة المعنوية الدرجة القصوى التي مكنتهم من نواصي الامم ، وهذه القوة المعنوية هي الاصل ، وهي التي بدونها لا ننهض امة ، وما القوة المادية ، الا تبع لها ، وما يقال عن غرام العرب بالقتال وحب البدو للغزو ، وغرامهم بالغنائم ، فهو تفسير في غير محله ، وانما امكنت هذه الفتوحات الخارقة للعادة ، بكلام منزل هو خارق للعادة ، وبقوة معنوية جارفة احدثت في النفوس ولقد كان العرب اهل حرب من قديم الزمان ، وكان الاعراب من المغرمين بالنهب والكسب ، من اعالي ايام الجاهلية ، فلماذا لم يفتحو العالم الا بعد بعثة محمد ونزول القرآن ؟

.....

ويقول (ولز) بهذا المعنى : اذا كان القاري يتخيل ان موجة الاسلام قد غزت بهذا الفيض الذي فاضته بعض مدنيتا شريفة فارسية او رومانية او يونانية او مصرية ، فيجب ان يرجع عن خياله هذا ، لان الاسلام قد ساد لانه كان افضل نظام اجتماعي وسياسي تمخضت به الاعصر ، وان الاسلام قد

ساد لانه في كل مكان وجد انما استولى عليها الخمول ، وكان فاشيا فيها الظلم والنهب والعسف ، وكانت بدون تهذيب ولا ترتيب ، فلما جاءها الاسلام لما يجد الاحكومات مستبدة مستأثرة منقطعة الرابطة بينها وبين رعاياها ، فادخل الاسلام في اعمال الخلق اوسع فكرة سياسية ، ومد الى البشرية يد المعونة ، ولم يبدأ الاسلام بالانحطاط الا عندما بدأت البشرية تشك في صدق القائمين بتمثيل هذه الديانة !!

يريد ولزان يقول : ان الاسلام بريء مما عمله المسلمون ، الذين لم يحسنوا تمثيله ...



مصابير الاسلام

وصف الكاتب الاميركي (استودارد) الاسلام والعالم الاسلامي في اواخر القرن الثامن عشر فقال :

« في القرن الثامن عشر كان العالم الاسلامي قد بلغ من التضعف اعظم مبلغ ، ومن التدني والانحطاط اعظم دركة ، فاربدت جوهه ، وطبقت الظلمة كل صقع من اصقاعه ، ومصر من امصاره ، وانتشر فيه فساد الاخلاق والاداب ، وتلاشى ما كان باقياً من آثار التهذيب العربي ، واستغرقت الامم الاسلامية في اتباع الاهواء والشهوات ، وماتت الفضيلة في الناس وساد الجهل ، وانقلبت الحكومات الاسلامية الى مظايا استبداد وفوضى واغتبال

واما الدين فقد غشيته غاشية سوداء ، فالبتت الوجدانية التي علمها صاحب الرسالة سجقاً من الخرافات وقشور الصوفية ، وخلت المساجد من ارباب الصلوات ، وكثر عديد الادعياء الجهلاء وطوائف الفقراء والمساكين يخرجون من مكان الى مكان يحملون في اعناقهم التائم والتعاويز والسبحات وبوهمون الناس بالباطل والشبهات ، ويزغبونهم في الحج الى قبور الاولياء ، ويزينون للناس التماس

الشفاعة من دفناء القبور ، وغابت عن الناس فضائل القرآن ، فصار يشرب الخمر والافيون في كل مكان ، وانتشرت الرذائل وهدمت سائر الحرمات على غير خشية ولا استحياء ، ونال مكة والمدينة المنورة ما نال غيرها من سائر مدن الاسلام ، فصار الحج المقدس الذي فرضه النبي على من استطاعه ضرباً من المستهزآت ، وعلى الجملة فقد بدل المسلمون غير المسلمين ، وهبطوا مهبطاً بعيداً عن القرار ، فلو عاد صاحب الرسالة الى الارض في ذلك العصر ورأى ما كان يدهي الاسلام لغضب واطلق اللعنة على من استحقها من المسلمين ، كما يلعن المرتدون وعبد الاوثان »

ونظن ان الكاتب الامير كي قد وفق كل التوفيق في وصف حال الاسلام في القرن الثامن والتاسع عشر ، واما اليوم فنعقد بحق ان الحالة قد تبدلت ، وان المسلمين اخذوا يعودون الى فضائل دينهم ، ويستمعون لصرخة نبيهم ، وانهم غير مسلمي الامس القريب حتماً

...

ويتحدث الكاتب الامير كي عن روح الاسلام فيقول : من يقارن بين الشريعتين الاسلامية والنصرانية من جميع وجوههما يرى ان روح الاول اليوم ، وروح الاخرى بالامس ، انما هي روح واحدة ، وانتظر في شيء من هذا ، وهو تحريم الربا في الشريعة

الاسلامية ثجراً لو ابيح لكاتب من شأنه القضاء على التجارة والصناعة باعتبار معنيهما اليوم ، ويقول بعض النقدة ان تحريم الربا معناه جمود الاسلام ، ولو اعتدلوا عرفوا ان النصرانية حرمت الربا ايضاً ، وانها اتهمت بالهرطقة والكفر من اقدم على التدين خصوصاً (اللمبردين) الذين اضطهدوا شر اضطهاد لخطتهم هذه ، ولتنظر الى شيء آخر : يقول متعصب النقدة ، من المسيحيين ، « ان الاسلام يحافي الحرية الفكرية ، ويكره استكناه الحقائق العلمية الطبيعية ، فلعمر الحق لو شاء الاسلام ان يحتج على النصرانية ويرد اليها افتراءها ، لكان لديه حجة ارفع ، وبرهان اقطع ، مما هو مدون في صحف التاريخ النصراني من ان (غاليلو) قد جلد وعذب واذنق الهول اشكلاً ، منذ ثلاثمائة سنة بحضرة المجلس (البابوي) ليرتد عن تعطيله و كفره التي جاهر بها يومئذ من ان الارض تدور حول الشمس ... »

ايلىق بنا بعد هذا ان نتعاض عما قاله محمد في شأن العلم ؟ وان نذكر تكريمه له كل التكريم ، وهذه كلماته البليغة ما زالت شاهداً على ذلك ، والى القاري بعضها :

« اطلبوا العلم ولو في الصين ، فان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة »
 « اطلب العلم من المهد الى اللحد »

«لأن تغدو فتعلم باباً من العلم خير من أن تصلي مائة ركعة»
 «بوزن يوم القيامة مداد العلماء بمداد الشهداء»
 «العلماء ورثة الانبياء»

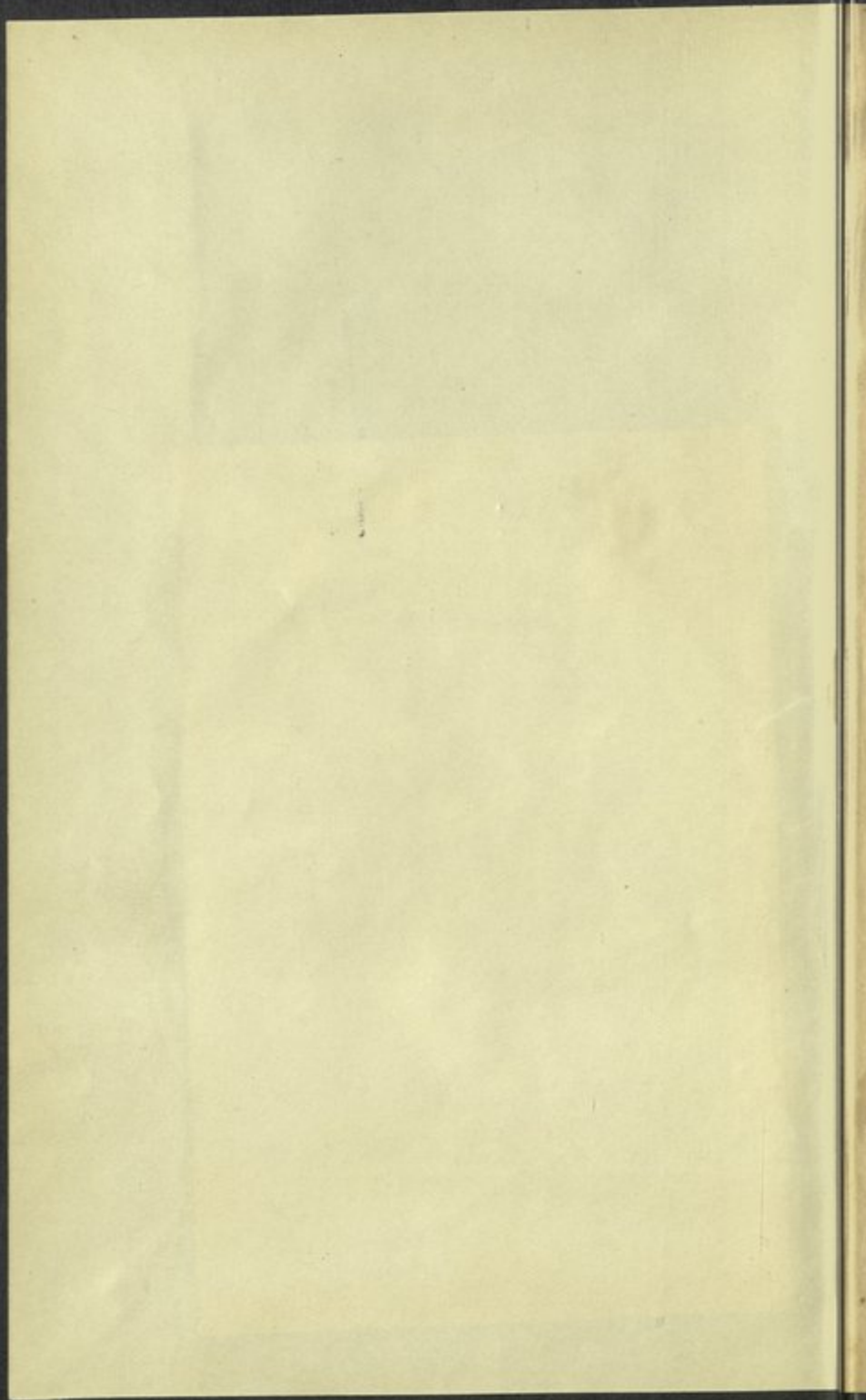
....

وقال السيد (خدا بخش) وهو مفكر هندي كبير «ما كان
 النبي يبغض شيئاً بغضه للشرائع والقوانين الجامدة التي تعيد العقل
 فتقوده صاغراً أعمى ، وليس القرآن الكريم غير هدى للمؤمنين ،
 وليس عثرة في سبيل ترقى المجتمع والآداب والشرائع والقوانين
 والمدارك العقلية ، ولعمري أن هذا الاسلام اليوم ليس هو الاسلام
 الذي أتى به صاحب الرسالة ، فإن الاسلام الذي جاء به النبي بريء
 من هذه السلاسل المولفة من حلقات الوظائف والمناصب الدينية
 وعار عن هذا التعصب القاتل والجهل الشديد والاهوام والباطيل
 الكفرية ... الى أن يقول : هل الاسلام عدو للتقدم والتقدم ؟
 اني اعوذ بالله من هذا القول وقائله ، لانه متى وضع الاسلام
 في البوتقة واخرج منه ما علق به من جميع هذه الباطيل الخداعة ،
 كان ذلك الدين الساذج الحلو السائغ ، فالاسلام على اصله ووصفه
 انما هو ركنان لا ثالث لهما : توحيد الله تعالى ، والايمان بان محمداً
 هو رسول الله ، وما عدا ذلك فليس من الاسلام

فهرس الكتاب

	صفحة
مقدمة المغرب	٥
محمد بن عبد الله	٩
محمد النبي	٢١
محمد الامين الصادق	٤٤
رسول الله	٥٧
مولد النبي ونشأته	٦٥
وثبة الاسلام	٨٢ X
استبحار الحضارة والعمران	٩٨
النهضة الاسلامية الجديدة	١٠٧
الاسلام وادريه	١٢٥
تعليقات : اثر القرآن	١٢٩
مصابير الاسلام	١٣٢
فهرس الكتاب	١٣٦

وقع خطأ مطبعي في صفحة ١٢ سطر ٤ من هذا الكتاب ،
 فنرجو الانتباه الى ان كلمة (يوماً) يجب ان تقرأ (يوم)



DATE DUE

JAFET LIB.

~~APR 1986~~

18 JAN 1993



297.63:M952mA:c.1

ابو النصر، عمر
محمد بن عبد الله وآراء مشاهير كتاب

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01013155

American University of Beirut



297.63:M952mA

محمد بن عبد الله

297.63

m952mA

297.63

M952mA

C.I